أ.د.علي جمعة

عقيدة التوحيد الخالص

هذا ديننا

مكتبة الدار العربية للكتاب

هذا ديننا

عقيدة التوحيد الخالص

جمعة ، علي .
عقيدة التوحيد الخالص/ علي جمعة . ــ ط1 . ــ القاهرة:
مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2016.
224 ص ؛20 سم .
تدمك : 6 ــ 735 ــ 293 ــ 977 ــ 978
1 ـ علم الكلام
أ ــ العنوان 240
رقم الإيداع : 2016/1709

مكتبة الدار العربية للكتاب
16 عبد الخالق ثروت ــ القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + ــ ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

الطبعة الأولى: ربيع الآخر 1437هـ ــ يناير 2016م

هذا ديننا

أ.د.علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

عقيدة التوحيد الخالص

مكتبة الدار العربية للكتاب

سلسلة «هذا ديننا»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإنه يسر مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة أن تقوم بإصدار هذه السلسلة الدينية الرائدة، كما تعودت من قبل إصدار السلاسل المختلفة، إيمانًا منها بأن الوعي قبل السعي، وأن شرف العلم فوق كل شرف، ومساهمة منها في إحداث حالة من الثقافة الدينية العامة التي يتضح معها صحيح الدين ووسطية الإسلام، أداء بقيام واجب الشهادة وامتثالًا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143] وذلك تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وأستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر ومفتي الديار المصرية السابق، والأستاذ هشام حنفي سيد سكرتير التحرير العام، والأستاذ محمد رشاد رئيس مجلس إدارة الدار المصرية اللبنانية. وتهدف هذه السلسلة إلى تعريف الناس جميعًا من المسلمين وغير المسلمين بعقائد الإسلام وشريعته وأخلاقه، وتاريخ مجهودات علمائه عبر الزمان والمكان، وأسس بنائهم للحضارة الإسلامية ومشاركاتهم في الحضارة الإنسانية، وبيان الأدوات التي اعتمدوا عليها في فهم النصوص وتطبيقها، تلك الأدوات التي غابت عن كثير من المتصدرين، فاختلطت

الأوراق وشوهت صورة الإسلام وكثرت الشبهات وضلت الأفكار وسالت الدماء وكثرت الفتن، كل ذلك بسبب فقد هذه الأدوات.

ونرى بتمام هذه السلسلة أنها ستساهم – إن شاء الله – في توضيح الحق وجلاء الصورة ودفع الشبهات، وتحرص السلسلة على أن تكون مجالاتها متنوعة: الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، والأخلاق، وأصول الفقه، والمقاصد الشرعية، وتفسير القرآن، وشروح الحديث، وعلوم البلاغة واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي وحضارته، وعلوم التصرف والتزكية، وحقوق الإنسان (المرأة، والطفل، والأقليات).

كما ترحب السلسلة بإسهامات ومشاركات مختلف الأجيال من العلماء والمفكرين وأساتذة الشريعة الإسلامية في العالم من أصحاب المشرب الصحيح، حتى تجتمع حكمة الكبار وخبرتهم مع نشاط الشباب وحماسهم، وقد حملوا جميعًا في قلوبهم وعقولهم وأرواحهم وحياتهم، مهمة إبلاغ الحق إلى العالمين.

ثقتنا كبيرة بأن هذه السلسلة سوف توفر مادة خصبة في تكوين عقلية المهتمين ونفسيتهم وبناء الشخصية السوية التي تتلقى هذا الدين وتقبله بقبول حسن.

وهي بلا شك مسئولية علمائنا لإرساء القواعد وكشف الحقائق ودفع الناس إلى عبادة الله وعمارة الدنيا وتزكية النفس ودعوة الخلق أن يتعايشوا من أجل مراد الله عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: 61] عسى أن نثري بعملنا هذا حضارتنا ونشارك في بناء الحضارة الإنسانية في زماننا هذا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مكتبة الدار العربية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، العبد الأكمل الذي أخذ بأيدي الخلق إلى أحسن اعتقاد في رب العباد، وهو الرحمة المهداة وشفيعنا يوم العرض على الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد .. فإن أحسن ما يلقى العبد به مولاه - عز وجل - اعتقاد صحيح وعمل صالح، ولذلك نقدم للقارئ الكريم هذه المباحث الجامعة لأمور العقيدة الإسلامية بطريقة سهلة وميسورة على مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى وفق المسائل الجامعة والواجب الاعتقاد فيها، وقد قدمناه بطريقة تجمع بين الحقائق الكلامية وبين إشارات التربية والسلوك بما يرشد العباد إلى الفطرة السليمة التي ترشد الإنسان دائما إلى التصورات الصحيحة المستقيمة.

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

ونود أن نشير في هذه المقدمة إلى أهمية تصحيح العقائد في بناء الأمة، فإن المجتمعات الإنسانية ومن ضمنها المجتمعات الإسلامية ما فسدت وتمزقت وأكلها الفساد والطغيان والاعتداء من الإنسان على أخيه إلا بفساد المفاهيم والمعتقدات، وإن ما تعانيه الأمة الآن من تفشي ظواهر الإرهاب والتطرف باسم الدين والعقيدة،

لهو لون من ألوان ذلكم الفساد الذي بني على التصورات السقيمة والعقائد الفاسدة التي أزهقت روح الإسلام وشوهت جسده.

وإن المحاولة إلى طرح العقيدة في ثوب أو لفظ واضح ومحدد كما حرص هذا المؤلَّف لهي خطوة في سبيل التصحيح والأخذ بيد من ضل وغوى، ورده إلى الفطرة السليمة التي خلقها الله في قلوب عباده ونفوسهم.

وفي الختام أرجو الله - عز وجل - أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله لنا زخرا يوم نلقاه، وأهلا لأن ننال شفاعة المصطفى يوم الزحام، وسببا في النظر إلى وجه الله الكريم يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء

الفصل الأول

تمهيدات واصطلاحات

العقيدة:

العقيدة لغةً: من العَقْد وهو الرَّبط والإبرام والإحكام والتوثيق والشدِّ بِقوَّةٍ، والعقد نقيض الحَلِّ، عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْدًا وتَعْقادًا وعَقَّده.

والعقيدة اصطلاحا: ما عَقَد الإنسان عليه قلبه جازما به، سواء أكان حقا أم باطلا.

والعقيدة هي المحرك إلى العمل. كعقيدة المسلم في وجود الله وصدق الرُّسُل.

حاجة الإنسان إلى العقيدة:

هل عاش الإنسان يوما بدون أيدلوجية أو عقيدة دينية تحركه؟

إن التاريخ الإنساني على مستوى المكان والزمان ليثبت أن الإنسان لم يكن يوما فردا أو جماعة يسير في الأرض بلا دين أو عقيدة أو أيدلوجية تحركه وتؤثر في سلوكياته وأفعاله.

العقيدة الإسلامية:

هي الإيمان الجازم بأن خالق السموات والأرض هو الله رب العالمين، وأنه إله واحد متصف بكل الكمالات، منزه عن كل النقائص، ليس كمثله شيء، وأن محمدا نبيه الخاتم ورسوله إلى العالمين كافة، بلغ رسالته على أكمل وجه وأتمه، وأن القرآن كتابه الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن ما أخبر به من الغيب حق، فالملائكة حق، والنبيون حق، والجنة حق، والنار حق.

بحيث يحرك هذا الإيمان صاحبه بأن يلتزم بأحكام شريعة الإسلام ويتبع أوامر الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136].

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

[البقرة: 177]

عَنْ عُبَادَةَ بن الصامت - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»(1).

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ». قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(2).

---

(1) [رواه البخاري 1267/3 رقم (3252)].

(2) [صحيح مسلم 36/1 رقم (8)].

والعقيدة الإسلامية مصدرها الوحي الإلهي، نزل بها الروح القدس الملاك جبريل من لدن رب العالمين على قلب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وسمعه.

قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم: 2 - 5]

صاحبكم أي - محمد ﷺ - وشديد القوى هو جبريل عليه السلام.

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 192- 195]

الروح الأمين: هو جبريل عليه السلام. وقلبك: أي قلب محمد - ﷺ -.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16]

والْإِيمَان عبارَة عَن التَّصْدِيق. قَالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: 17] (وَمَا أَنْت بِمُؤْمِن لنا) أَي بمصدق، والتصديق مَحَله الْقلب، وَاللِّسَان ترجمانه.

قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: 22]

وَالْإِسْلَام هو التَّسْلِيم والاستسلام، بالإذعان والانقياد، وَترك التمرد والإباء، ومحل التسليم عَامٌّ فِي الْقلب وَاللِّسَان والجوارح.

فالْإِسْلَام أَعم وَالْإِيمَان أخص من حيث الفهم اللغوي، ولكن الشَّرْع قد استعمل اللفظين على سبيل الترادف. حيث قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: 36]

وقال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾

[يونس: 84]

وأطلق رسول الله - ﷺ- الإيمان وأراد به التَّصْدِيق وَالْعَمَل جَمِيعًا.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(1).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ-: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ». [متفق عليه]

وفرق الشارع بينهما حيث قال - تعالى -: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾

[الحجرات: 14]

وَعنى بِالْإِسْلَامِ الاستسلام ظَاهرا بِاللِّسَانِ والجوارح، وبالْإِيمَان هَاهُنَا التَّصْدِيق فَقَط.

وَفِي حَدِيث جِبْرَائِيل السابق ذكره، عَبَّرَ بِالْإِسْلَامِ عَن تَسْلِيم الظَّاهِر بالْقَوْل وَالْعَمَل، وبالإيمان الاعتقاد القلبي.

والخلاصة: إن الإيمان هو اعتقاد بالقلب وشهادة باللسان وعمل بالجوارح وهذا هو الذي ينجي صاحبه من النار ويمنع تخليده فيها،وهو الْإِيمَان المنتفع بِهِ وهُوَ الْبَاقِي عِنْد الْمَوْت.

(1) [صحيح مسلم 63/1 رقم (135)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ- قَالَ « يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ »(1).

وَالإيمان يزيد وينقص كعقدة الحبل، تَارَة تشتد وَتارَة تضعف وَتَسْتَرْخِي، تزيده الطاعات وتنقصه المعاصي.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [التوبة: 124]

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾ [الفتح: 4]

علم التوحيد:

التوحيد لغة: العلم بأن الشيء واحد.

والتوحيد شرعا: يعني إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته، والتصديق به ذاتا وصفاتا وأفعالا، وأن ليس هناك ذات تشبه ذاته – تعالى – وأن ذاته لا تقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا مطابقا للواقع، ولا تشبه صفاته الصفات، فلا تعدد فيها من جنس واحد كأن يكون له – تعالى – قدرتان أو إرادتان أو علمان مثلا، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقا، وإن نسب إلى غيره الفعل كسبا.

وقد جمع أهل الحقيقة ما قاله المتكلمون عن التوحيد في مسألتين:

1 – اعتقاد أن كل ما تَصَوَّرَ في الأوهام فالله بخلافه.

2 – اعتقاد أن ذاته – تعالى – ليست مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات.

والتوحيد اصطلاحا هو الفن المدون، وهو العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، مكتسب من أدلتها اليقينية.

---

(1) [الترمذي 714/4 رقم (2598)].

وموضوع علم التوحيد:

ذات الله – تعالى – من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز، وذات الرسل كذلك، والممكن من حيث إنه يتوصل به إلى وجود صانعه، والسمعيات من حيث اعتقادها والإيمان فيها.

وثمرته:

معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية.

وفضله:

إنه أشرف العلوم لكونه متعلقا بذات الله – تعالى – وذات رسله وما يتبع ذلك، والمتعلِّق يشرف بشرف المتعلَّق به.

وحكم الشارع فيه:

الوجوب العيني على كل مكلف من ذكر وأنثى.

حتمه الشارع وأوجبه، ولم يرخص في تركه لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19]

والواجب فيه هو معرفة العقيدة ولو إجماليا، وأما معرفتها تفصيليا ففرض كفاية.

مباحث علم التوحيد:

إلهيات: مسائل تتعلق بالإله.

ونبويات: مسائل تتعلق بالأنبياء والمرسلين.

وسمعيات: مسائل لا يمكن الاستدلال عليه إلا عن طريق السمع والخبر.

أقسام الدليل:

عقلي محض: الدليل العقلي هو ما أدركه العقل في محل الاستدلال، كالاستدلال بخلق السموات والأرض وخلق أنفسنا على وجود الخالق سبحانه وأنه عليم قدير حكيم.

ونقلي: وهو المركب من العقلي والنقلي. إذ صدق الخبر إنما يثبت بالعقل. فالشيء الذي يثبت بالدليل النقلي هو الممكن من جهة العقل أي الذي لا يمتنع إثباته ولا نفيه.

والدلائل النقلية قد تفيد القطع في الشرعيات لقرينة مشاهدة أو تواتر، وفي إفادتها القطع في العقليات نظر، إذ لو وجد معارض عقلي قُدِّمَ، إذ إبطال الأصل وهو العقل بالفرع وهو النقل إبطال لهما.

أقسام المعلوم:

قال الحكماء: ما يصح أن يعلم إما معدوم لا تحقق له بوجه ما. وإما موجود في الذهن بهوية شخصية، وإما موجود خارجي.

والموجود الخارجي إما **واجب** لا يقبل العدم لذاته أو **ممكن**.

قال المتكلمون: الموجود ما له تحقق في الخارج، وهو إما **قديم** لا أول له أو **حادث**.

والحادث منقسم إلى متحيز مشار إليه بالذات بهنا وهناك وهو الجوهر. أو حالٌّ فيه أي مختص بالجوهر متحد به وهو العَرَض.

الممكن:

هو المحوج إلى السبب ضرورة، ولا يكون أحد طرفيه وهما الوجود والعدم أولى به لذاته، فالممكن حادث ولا يكون إلا حادثا، وإثبات القدم للممكن يمنع تأثير الفاعل المختار فيه، لسبق القصد إلى إيجاده.

الواجب:

الوجوب الذاتي هو الوجوب الثابت لله - عز وجل - وحده، وهو ينافي التركيب؛ لأن التركيب يلزم منه الإمكان والحدوث والحاجة إلى الجزء، والجزء بداهة غير الكل.

وينافي الوجوب الذاتي الزيادة على الماهية، وينافي الشركة؛ لأن الزيادة على الماهية أو المماثلة والمشاركة يلزم منهما التركيب أيضا، لأن الشريك يماثل شريكه من جهة ويتمايز عنه من جهة، فإن كان فهما مركبان.

والله – تعالى - منزه عن المثل والند، تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فلا مثل له، ولا تركيب فيه. ويمتاز بالوجوب والحياة والعلم والقدرة التامين.

ولو شاركه غيره في الذات لخالفه بالتعين ضرورة الإثنينية، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم التركيب، وهو ينافي الوجوب الذاتي.

ولا ينافي الوجوب الذاتي لله - عز وجل - وجوب صفاته وقدمها، ولا يلزم من ثبوت وجوب صفاته احتياج الواجب إلى الغير؛ لأن صفاته ليست غيره.

حدوث العالم:

الحدوث هو المسبوقية بالعدم.

والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى.

والعالم مكون من جواهر وأعراض.

والجواهر كل ما استغنى عن المحل.

والأعراض هي كل ما يطرأ على الجواهر فتقبله كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والإرادة والقدرة والعلم.

الدليل على حدوث العالم:

الموجودات تنقسم إلى قديم وحادث:

القديم: هو الموجود الذي لا أول لوجوده، وهو واجب الوجود، والقديم يستحيل عليه العدم؛ لأن القدم ينافي العدم.

الحادث: هو الموجود الذي له أول. وهو جائز الوجود والعدم، ولما اختص بالوجود الممكن بدلا من العدم الجائز افتقر إلى مخصص، والمخصِّص هو الصانع المختار الموصوف بالاقتدار والإرادة.

وإن ما لا يخلو عن الحادث فهو حادث.

وكل جسم في العالم لا يخلو من الأعراض الحادثة والأحوال المتغيرة.

فتتغير الصفات على الأجسام، وتخرج من حال إلى حال، وحقيقة التغيرات أن تبطل حالة وتحدث أخرى، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة، وأما الحالة التي بطلت فلو كانت قديمة لم تبطل.

فيجب الإيمان بأن العالم بجميع أركانه وأجسامه وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول حادث بعد أن لم يكن شيئا ولا عينا ولا ذاتا ولا جوهرا ولا عرضا.

وجود الخالق:

إن الإيمان بوجود الخالق ركن العقيدة الأول، وهو القاعدة التي تبنى عليها مسائل العقيدة كلها، والإيمان بهذا الوجود هو السبيل إلى تحقيق الفهم الصحيح للخلق والمخلوقات ومعرفة معنى الوجود في هذا الكون.

إن الكون الذي نراه ونشاهده ممكن الوجود، بمعنى أن العقل لا يحيل وجوده ولا عدمه، فلا بد أن كان ثمة مؤثر خارجي رجح فيه الإمكان وأبعد العدم. وقد كان الكون في أصله قابلا لكليهما بحد سواء، وهذا المؤثر هو الله عز وجل.

فكل عاقل بالمشاهدة والضرورة العقلية يقر بحدوث المخلوقات بعد العدم، والمحدَث لا بُدَّ له محدِث، وتسلسل المحدثات ممتنع باتفاق العقلاء؛ والتسلسل هو أن يكون للمحدَث محدِث، وللمحدَث محدِث إلى غير غاية، ولا يزول هذا التسلسل إلا بمحدِث أزليٍّ لا يحتاج إلى غيره، ولا يفتقر في وجوده إلى موجد. وهذا هو الله واجب الوجود.

ولا ريب أنا نشهد الحوادث كحدوث السحاب والمطر والزرع والشجر وحدوث الشمس وحدوث الإنسان وغيره من الحيوان، وهذا المحدَث لا بد له من مُحدِث، ويمتنع تسلسل المحدِثات، بأن يكون للمحدِث محدِث وللمحدِث محدِث إلى غير نهاية، وهذا يسمى تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية، وهو ممتنع باتفاق العقلاء.

فالموجودات لو كانت بأسرها ممكنة، أي لو لم يوجد الواجب لانحصرت الموجودات في الممكن، ولو انحصرت فيه لاحتاج الكل أي المجموع بحيث لا يشذ عنه شيء من أجزائه الممكنة إلى موجد، لكون هذا الكل ممكنا مركبا من ممكنات.

وواجب الوجود مستقل في الإيجاد أي لا يستند وجوده إلى شيء، وهو خارج عن المجموع لا نفسه ولا داخلا فيه، والواجب واحد لا تركيب فيه، ولا كثرة فيه، بل هو واحد حقيقي.

والأجسام متحيزة وحاصلة في حيزها وهو العالم، فالعالم لا ينفك عن مقارنة حوادث لها بداية هي الأجسام، وكل ما لا ينفك عن مقارنة حوادث لها بداية فهو أبدا حادث، فالعالم إذن حادث.

والأجسام حوادث يصح عليها العدم، وما صح عليه العدم استحال عليه القدم.

وإن كل جسم فهو مركب، وكل مركب فهو محتاج إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب هو محتاج إلى غيره، والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيا.

وأما القديم فيستحيل عليه العدم، لأن الواجب لا يتبدل، وأما الحادث فهو يتبدل ويحصل بعد أن لم يكن حاصلا.

والعالم له بداية يدل على ذلك أن كل واحد من الحوادث يسبقه عدم، وكل الحوادث لا شك في حاجتها إلى المؤثر، وذلك المؤثر فاعل مختار، وهو الله، وإنما رجح إيجاد العالم على ترك إيجاده لأن الإيجاد إحسان، وأما تخصيصه بإيجاد العالم بالوقت المعين، لأن حدوث العالم قبل أن يحدثه الله تعالى فيه كان محالا، ولهذا لم يحدثه الله – تعالى – إلا في ذلك الوقت.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: 35 - 36]

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 23 - 28]

والإتقان والحكمة المبثوثة في أرجاء الكون وفي تفاصيل الخلق لتجعل ممن ينسب الخلق إلى الصدفة أو إلى المادة والطبيعة مجنونا سفيها.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السّجدة: 7]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التّين: 4]

وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النّبأ: 6 - 16]

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النّحل: 12]

وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 20-21]

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]

ولقد استدل الخليل إبراهيم عليه السلام على حدوث الجواهر وإمكانها وأنها لا تصح إلها خالقا؛ لأنها يطرأ عليها التغير والتحول.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

[الأنعام: 75-79]

فكل مخلوق لا بد له من خالق؛ لأن الأجسام لو كانت بأنفسها مع تجانس ذواتها لما اختلفت بالصفات والأوقات والأحوال والـمَحَال، فلما اختلفت علمنا أن لها مخصِّصا قدم ما قدم وأخر ما أخر وخص كل واحد منها بما اختص به من الصفات.

فمن المشاهد في الأنفس انقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما، ولا بد لهذه الأحوال الطارئة على النطفة من مؤثر صانع حكيم؛ لأن حدوثها لا من فاعل أو حدوثها بتأثير مؤثر غير عاقل أو حكيم أو مختار محال.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 49-50]

أي أعطى صورته الخاصة وشكله المعين المطابقين للحكمة والمنفعة المنوطة به، فالأجسام متماثلة متفقة الحقيقة لتركبها من الجواهر المتجانسة، وعليه فإن اختصاص كل منها بما له من الصفات جائز، فلزم وجود مخصص لها ببعض الصفات والأعراض المميزة.

أسلوب آخر للاستدلال على وجود الصانع:

إنه لا شك في وجود الممكنات المشاهدة كالمركبات، فإن استندت إلى الواجب ابتداء أو انتهت إليه فذاك، وإلا تسلسلت الممكنات، وهو محال.

وجميع الممكنات لها علة موجدة ترجح وجودها على عدمه، لما عرفت من أن الإمكان محوج، وأن كل ممكن فله علة مؤثرة.

وهذه العلة لا تكون نفس ذلك المجموع، إذ العلة متقدمة على المعلول وجوبا، ويمتنع تقدم الشيء على نفسه. فيصح القول كانت العلة فكان المعلول، بلا عكس.

وهي لا تكون أيضا جزءه؛ إذ علة الكل يلزم أن تكون علة لكل جزء فيه؛ لأن كل جزء ممكن ومحتاج إلى علة؛ ولأنه لو لم تكن علة المجموع علة لكل واحد من الأجزاء، لكان بعضها معللا بعلة أخرى، فلا تكون تلك الأولى علة للمجموع، بل لبعضه فقط.

ولو كانت علة المجموع جزءا منه للزم أن يكون هذا الجزء علة لنفسه ولعلله أيضا، وهو باطل.

فإذا ثبت أن علة المجموع ليست نفسه ولا أمرا داخلا فيه، فهي أمر خارج عنه، والخارج عن جميع الممكنات واجب لذاته.

فالله عَلَمٌ على ذات الخالق واجب الوجود لذاته، وهو العلة التي يُنْتَهَي إليها، وهو المستحق لجميع المحامد.

والله هو صانع العالم، أزلي الوجود، قديم الذات، لا مفتتح لوجوده ولا مبتدأ لثبوته. فهو الموجود الحق لذاته الذي لا يقبل وجوده العدم، وهو القديم الذي لا بداية لوجوده وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]

وهو الحي العالم بجميع المعلومات، القادر على جميع المقدورات.

فجميع الأفعال المحكمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظام لا تصدر إلا من عالم بها.

والله هو الموجود الذي سبق وجودُهُ كلَّ وجود، فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]

وهو تعالى الغني بذاته عن جميع الموجودات، وهي المفتقرة كلها ابتداء ودواما إليه سبحانه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: 15-17]

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[المائدة: 17]

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 31-32]

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 77-82]

أول الواجبات

والنظر في معرفة الله – تعالى- واجب إجماعا، إما بالسمع عند الأشاعرة وإما بالعقل عند المعتزلة.

فأول الواجبات هو المعرفة، ووسيلة تحصيلها النظر فهو واجب أيضا، والنظر لا يحصل إلا بالقصد إليه، فيكون القصد أيضا واجبا أولا.

والنظر هو الأداة أو المنهج المتبع في ترتيب أمور معلومة أو مظنونة للتأدي إلى آخر. أو هو تجريد الذهن عن الغفلات وتوجيه العقل نحو المعقولات. وصحيحه يفيد العلم ضرورة.

وعليه فإن التقليد في العقائد يعد عصيانا وذنبا لمن كانت عنده ملكة النظر وأهليته، وإلا فلا عصيان.

قال أبو منصور الماتريدي: وأجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم، وأنهم حشو الجنة. كما جاءت به الأخبار وانعقد به الإجماع، فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه، وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاحات المتكلمين.

وحكى الآمدي الاتفاق على انتفاء كفر المقلد.

والخلاف الحاصل في إيمان المقلد وعدمه، إنما هو بالنظر لأحكام الآخرة، أما في أحكام الدنيا فلا خلاف في أنه يكفي فيها الإقرار الظاهر فقط، فمن أقر جرت عليه أحكام الإسلام ولم يحكم عليه بكفر، فيناكح ويؤم وتؤكل ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم ويدفن في مقابرهم.

الإيمان:

وهو التصديق بجميع ما جاء به النبي - ﷺ- مما علم من الدين بالضرورة إجمالا وتفصيلا.

وما جاء به سيدنا محمد - ﷺ- هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلا بالدخول فيه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162-163]

ولقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20]

وعليه فلا نجاة لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام.

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

[آل عمران: 84-85]

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]

والإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: 67]

حكم العمل بمقتضى الإيمان:

والعمل شرط كمال الإيمان، فمن أتى به فقد حصل كمال إيمانه، ومن تركه فهو مؤمن فوت على نفسه كمال الإيمان، وذلك ما لم يكن مستحلا لترك العمل، أو معاندا للشارع، أو شاكا في مشروعية ما علم من الدين ضرورة، فإنه إن فعل فهو كافر.

والإيمان يزيد بزيادة الطاعة والعبادة وينقص بنقصانها، ويستثنى من ذلك إيمان الأنبياء فهو يزيد ولا ينقص.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[الفتح: 4]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

[التوبة: 124]

ولله تعالى وحده الحق في التكليف بالأمر والنهي في ضوء الإيمان به وبالعبودية له

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]

ولقد جاءت تكاليف الله تعالى في حدود الاستطاعة الإنسانية، ولذلك استثنى الشارعُ المجنونَ والنائمَ والناسي والصبي من التكليف لعدم كونهم عاقلين للمأمور به، وقد تولى الله تعالى رعاية المكلفين بلطفه وتيسيره فأعطاهم فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: 6]

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

[البقرة: 185]

وليس هذا وجوبا على الله – تعالى – ولكن الله له أن يفعل ما يشاء وله أن يكلف عباده بما يريد، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لكمال رحمته وعدله.

حكم النطق بالشهادتين:

القول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. واجب لصحة الإيمان على المتمكن منه القادر عليه.

وخرج بالقادر عليه الأخرس، فلا يطالب بالنطق.

وخرج بالمتمكن منه الذي اخترمته المنية قبل النطق به من غير تراخ، فهو مؤمن عند الله.

ولا يكفي إبدال لفظ "أشهد" بغيره وإن كان مرادفا له، لما في النطق به من معنى التعبد، ولا بد من ترتيب الشهادتين وموالاتهما.

ويصح إسلام من نطق بالشهادتين بغير العربية وإن أحسن العربية.

ولا يكفي النطق بكلمتي الشهادة إذا كان الناطق بهما لا يفهم أصل معناهما.

ويجب الإيمان والإقرار برسالة – محمد ﷺ – إلى العالمين العرب والعجم.

والنطق بالشهادتين شرط في إجراء أحكام المؤمنين على صاحبها.

وهي التوارث والتناكح والصلاة خلفه وعليه والدفن في مقابر المسلمين ومطالبته بالصلاة والزكاة.

وذلك لأن التصديق القلبي وإن كان إيمانا إلا أنه باطن خفي، لا بد له من علامة ودلالة ظاهرة. فمن أقر بلسانه دون قلبه فهو منافق تجرى عليه أحكام المؤمنين في الدنيا وهو عند الله غير مؤمن، وذلك ما لم يطلع على كفره بعلامة ظاهرة بينه كالسجود لصنم أو إهانة المصحف.

وأما الآبي وهو الذي يُطْلَبُ منه النطق بالشهادتين فيأبى، فهو كافر في الأحكام الدنيوية وعند الله، ولا ينفعه أن صدق قلبه الإيمان.

ومن عرضت له شبهة وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنظر بنفسه أو بسؤال غيره من أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: 94]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]

ومن وردت على قلبه خطرات ووساوس من دون شبهة فليستعذ بالله وليقل: آمنت بالله ورسوله.

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]

وأولاد المسلمين مؤمنون قطعا، وتجري عليهم الأحكام الدنيوية ولو لم ينطقوا بالشهادتين طول عمرهم.

حكم أهل الفترة:

وأهل الفترة هم من كانوا بين أزمنة الرسل، أو في زمن الرسول ولم يرسل إليهم، وهم ناجون وإن بدلوا وغيروا.

واتفق جمهور المسلمين على أنه لا شرع قبل بعثة الرسل ولا تكليف، وأن أهل الفترة الذين انقطعوا عن خبر الأنبياء السابقين وبعثة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ليسوا مؤاخذين ولا مكلفين.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾

[الإسراء: 15]

وعليه فإن آباء النبي – ﷺ – وأمهاته ناجون؛ لأنهم من أهل الفترة، وجميع آبائه محكوم بإيمانهم ولم يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب.

قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: 219]

وقال ﷺ: "لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات"[1].

فنسب النبي ﷺطاهر شريف من بدايته إلى منتهاه، اصطفاه الله من ذرية آدم وإبراهيم عليهما السلام.

قَالَ وَاثِلَةُ بْنُ الأَسْقَعِ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ: «إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ»[2].

---

(1) انظر السيوطي في الدر المنثور 3 / 294، وفي الحاوي للفتاوى وقال أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس.

(2) صحيح مسلم (كتاب الفضائل ـ باب فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ) 4/ 1782 رقم (2276).

وفي رواية للحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما زيادة: "فَأَنَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ"(1).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ، وَمَا وَلَدَنِي إِلا نِكَاحٌ كَنِكَاحِ الإِسْلامِ"(2).

وكان نسب النبي - ﷺ - في أشراف العرب، وفي البيوت ذات العز والشرف والعدد، حتى قيل: إن أمه هاجر القبطية أم إسماعيل بن إبراهيم كانت بنت ملك من ملوك منف.

وَعَنْ سِيَابَةَ بْنِ عَاصِمٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ينادي في الجموع: "أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ ". أي الطاهرات(3).

الخطيئة والتوبة:

إن الله خلق آدم وحواء، وأسكنهما الجنة، وأمرهما بتجنب الأكل من شجرة فيها، فوسوس لهما الشيطان وأغواهما حتى عصيا، وأكلا من الشجرة، فبدت لهما سوءاتهما بعد أن كانت مستورة، وعلما الحكمة الإلهية من وراء تكليف الله لهما، وهي تحقيق المصلحة لهما وتفويت الضرر عنهما.

وكانا في فعلهما مشتركين متساويين، ولم تكن حواء أقل عزما على الطاعة أو أكثر جنوحا للمعصية من آدم، ولم تكن صاحبة غواية له لولاها لصدق وأطاع.

ثم استغفرا وتابا وأنابا إلى ربهما وقَبِلَ الله هذه التوبة وعفا عنهما، وكرم بني آدم، وأسكنهم الأرض.

---

(1) المستدرك على الصحيحين 4/ 83 رقم (6953) والبيهقي في السنن الكبرى 7/ 190 رقم (13854).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(3) المعجم الكبير للطبراني، 7/ 168، رقم (6724).

قال تعالى عن آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]

ومن تكريم الله عز وجل لآدم أسجد له ملائكته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 34]

وعصى آدم ربه ثم تاب فتاب الله عليه وعفا عنه، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾

[طه: 121-122]

وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]

وعن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ليتوب عليهما ويغفر لهما قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]

وكرم تعالى ذرية آدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]

ويقبل تعالى توبة عباده، والتوبة تقبل قطعا، فلا يشكن تائب في قبول توبته، قال تعالى عن ذاته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25]

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: 2-3]

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺأنه قال: «لله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا، وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي. فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»(1).

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺأَنَّهُ قَالَ: « قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي والله لله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ»(2).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]

وعَنْ أَنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »(3).

فالإنسان في منظور الإسلام يولد مبرأ من كل ذنب وخطيئة، ولا يورث الله عز وجل أحدا من عباده خطيئة غيره.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164]

---

(1) البخاري (كتاب الدعوات ـ باب التَّوْبَةِ) 5/ 2324 رقم (5949) .

(2) مسلم (كتاب التوبة ـ باب فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا) 4/ 2102 رقم (2675).

(3) سنن الترمذي 4/ 659، رقم (2499).

قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

[الإسراء: 15]

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: 36-41]

ثم يعصي الإنسان ربه ثم يتوب إليه، فيتوب الله عليه، ويغفر الله للإنسان كل ذنب مهما عظم إلا الشرك به.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]

وأوجب الله تعالى على عباده التوبة من جميع المعاصي على الفور، فلا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8]

وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ [هود: 1-3]

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾

[هود: 90]

والتوبة هي:

الإقلاع عن الذنب، ثم الندم على فعله ثم العزم على عدم العود إلى الذنب أبدا، فإن تعلق الذنب بحق آدمي آخر وجب رد المظلمة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه. فإن لم يستطع العاصي بأن كانت مظلمته مستغرقة في الذمم فالمطلوب كثرة التضرع إلى الله لعله يرضي خصماءه يوم القيامة فيعفو عنه.

وتوبة العبد الصادق مقبولة إن شاء الله ما لم يغرغر، والغرغرة هي حالة نزاع الروح وخروجها، وما لم تطلع الشمس من مغربها، فإنها علامة على إغلاق باب التوبة.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

[الأنعام: 158]

وقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ

ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: 90-91]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: « إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ »(1).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ »(2).

وإسلام الكافر يَجُبُّ ما قبله، فإيمانه محى كفره، وإيمانه هو عين توبته من الكفر.

عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا». قَالَ عَمْرٌو: فَوَاللهِ إِنْ كُنْتُ لأَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا مَلأْتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ رَاجَعْتُهُ بِمَا أُرِيدُ حَتَّى لَحِقَ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيَاءً مِنْهُ(3).

الوعد والوعيد:

نعتقد أن الله منجز وعده، أي يعطي مَنْ أراد به خيرا مَا وَعَدَهُ به على لسان نبيه أو في كتابه. ولا نُجَوِّزُ أن يتخلف وَعْدُ الله أبدا.

فَوَعْدُ الله المؤمنين الجنةَ لا يتخلف شرعا قطعا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 9]

(1) سنن الترمذي 5/ 2547، رقم (3537). صحيح (ابن حيان 2/ 394 رقم (628).

(2) سنن ابن ماجه 2/ 1419، (4250). البيهقي في السنن الكبرى 10/ 154، رقم (20349).

(3) سند أحمد 4/ 204، رقم (17846).

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 6]

لأنه لو تخلف إعطاءُ الموعودِ به للزم الكذب والسفه والخُلْفِ، واللازم باطل فكذا الملزوم، فالخُلْفُ في الوَعْدِ نَقْصٌ يجب تنزيه الله عنه.

وأما الوعيد فيجوز الخُلْفُ فيه؛ لأن الخلف فيه لا يعد نقصا، بل يعد كرما يمتدح به، كما قال الشاعر:

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ   لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

فالكريم إذا أخبر بالوعيد، فاللائق بكرمه أن يبني إخباره به على المشيئة وإن لم يصرح بها، فإذا قال الكريم: لأعذبن زيدا. مثلا، فنيته إن شئت.

بخلاف الوعد، فإن اللائق بكرمه أن يبنى إخباره به على الجزم.

ولا يلزم من ذلك الكذب في خبره تعالى.

ولا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29]

فالآية محمولة على أن الممنوع تبديل القول في وعيد الكفار، أو فيمن لم يرد الله عنه عفوا.

الذكر والدعاء:

فضل ذكر الله تبارك وتعالى:

لذكر الله تعالى فضلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ، وفيه خير كثير، وهدىً ونور، وشفاء للصدور، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: 41-42]

وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152].

(فاذكروني) كلمة واحدة عليها قوام الدنيا وصلاحها، وعليها قوام سعادة الإنسان وطمأنينة قلبه، وبها تتأكد الصلة بين الخالق والمخلوق، ومن خلالها يغرق الإنسان في بحر من النور فيكون غريق النور، وليس غريق الفساد والظلمة ولا غريق الاغترار والمعصية.

قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: من الآية 152].

فَذِكْرُ العبدِ ربه يكون باللسان وبالجنان وبالجوارح، يحصل الأول بالنطق بما يدل على تنزيهه تعالى وتمجيده وتعظيمه وتحميده. ويحصل الثاني بالتفكر في دلائل وحدانيته تعالى في ذاته العليّة وصفاته السنية وأفعاله الحكيمة، وفي دلائل التكاليف الإلهية بالأوامر والنواهي، وفي الوعد والوعيد، والمثوبة والعقوبة حتىٰ يكون العبد علىٰ يقين في دينه اعتقادات وأعمالًا، فَيُقْبِلُ على الطاعات، ويُحْجِمُ عن المحظورات ببصيرة نافذة، وإخلاص تام، وقلبٍ سليمٍ وعلمٍ يقين، ويحصل كذلك بالتفكر في عِظَمِ المخلوقات وما فيها من أسرار ودلائل وحكم، حتى يعلم قدرة صانعها وحكمته، ويُشْرِقَ في قلبه نور العلم والمعرفة، والحكمة والهداية. وأما الثالث فيحصل بالاستغراق في فعل الطاعات مع اجتناب جميع المنكرات فلا يشغل جوارحه بغير ما فيه رضا مولاه.

وأما الذكر من الله تعالىٰ لعباده الذاكرين فيحصل بمنحهم الخيرات والكرامات، والإحسان إليهم بالمثوبات، وبإجابة الدعاء واللطف في القضاء، وبالهداية والكفاية وبالرحمة والرضوان، والعفو والغفران جزاء ذكرهم له وطاعتهم إياه وإنابتهم إليه، وصدقهم في العبودية له تعالىٰ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: من الآية 60].

أي اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة وإعطاء الآلاء والنعماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: من الآية 56].

أي اذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة والغفران.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: من الآية 110].

أي اذكروني بالاستغفار أذكركم بالغفران.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: من الآية 10]

أي اذكروني بالصبر أذكركم بأوفىٰ الأجر.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: من الآية 3].

أي اذكروني بالتوكل أذكركم بالكفاية.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[العنكبوت: من الآية 69].

أي اذكروني بالمجاهدة والعمل أذكركم بالهداية والتوفيق.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب:71].

أي اذكروني بطاعتي وطاعة رسولي أذكركم بمعونتي وجنتي.

وذكر الله تعالى سواء أكان تحميدا أم تسبيحا أم تهليلا أم تفكرا في آلاء الله وعظمته وسلطانه أو كان بإقبال قلب العبد على خالقه وفراغه عمن سواه فإنه من أعظم القربات وأجل العبادات.

قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

[العنكبوت: من الآية 45]

قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية 35]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدًّا معلومًا، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدًّا يُنْتَهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فلذلك أمرهم به في كل الأحوال فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:103]

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: الآيات 41-42].

أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية.

وجاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَل؟ فَقَالَ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**». فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ: «**أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ الله**»(1).

وبذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن وتنقشع عنها ظلمات الجهالة وغشاوات الغواية والضلالة، ويشعُّ فيها نور العلم والعرفان والحكمة والهداية قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: 28-29].

والمسلم بذكره لله تعالى ينال معيته ورضاه وذكره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَقُولُ الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »(2).

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "قال الله جل وعلا: عبدي عند ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وأطيب"(3).

---

(1) مسند أحمد 4/ 188، رقم (17716) والبيهقي في السنن الكبرى 3/ 371، رقم (6318)، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني: 3/ 51.

(2) البخاري (كتاب التوحيد ـ باب قَوْلِ اللهِّ تَعَالَى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ﴾. 6/ 2694، رقم (6970).

(3) رواه ابن حبان: كتاب البر والإحسان 2/ 36، رقم 328.

وعن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- « قَالَ الله تعالى أَنَا مَعَ عَبْدِى حَيْثُمَا ذَكَرَنِى وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَاهُ »(1).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]

أي: إذا ألمّ بهم شيء قليل من وسوسة الشيطان بفعل المعاصي أو ترك الطاعات، تذكروا الله وعقابه للعاصين ومثوبته للطائعين، فإذا هم مبصرون الحق، فيرجعون إلىٰ طاعة الله وما يرضيه، تاركين ما يغضبه من معاصيه.

والذكر هو شأننا وحالنا مع كلام ربنا، وما ينبغي أن نفعله معه أن نجعله كتاب هداية لنا ومحلا للتدبر والتفكر، ومحلا لتحويل أوامره سبحانه وتعالى ونواهيه إلى واقع نعيشه، ونتأمل في هذه الأوامر وتلك النواهي، وذلك حتى نسعد مع السعداء بنور هداية الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]

والعمل بمقتضى هذه الآية يستلزم منا أن نظل في ذكر دائم لله - عز وجل - على الدوام، حتى إذا بغتنا الموت في أية لحظة كنا على الإسلام، فإن نحن غفلنا عن الذكر طرفة عين لم نكن قائمين بهذه الآية.

وفي الإعراض عن ذكر الله تعالى حرمان الخير كله، من هذه الثمرات العظيمة، وبلاء عظيم، وشر جسيم.

(1) مسند أحمد 2/ 540، رقم (10981)، سنن ابن ماجه 2/ 1246، رقم (3892)، صحيح ابن حيان 3/ 97.

قال - تعالىٰ -: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: الآيات 124-127].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾

[الجن: من الآية 17]

عذابا شديدًا شاقًا موجعًا مؤلمًا.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9]

وأما الدعاء فهو الطلب على سبيل التضرع.

وقيل: هو رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ينفع الأحياء والأموات إن دعوت لهم. ويضرهم إن دعوت عليهم.

ودعاء العبد ربَّه ينفعه، والدعاء ينفع وإن صدر من كافر.

فالدعاء هو استمداد العبد المعونة من ربه وخالقه، وتتضمن اعترافا بالعبودية لله الواحد القهار، وإقرارا بالحاجة إليه، والتضرع والافتقار إلى عطائه ومدده، وتتضمن كذلك براءة العبد من حوله وقوته، ودخولا في حول العزيز وقوته.

والدعاء أعظم مقامات العبودية لله تعالى، وفيه معنىٰ الثناء عليه، وإضافة الجود والكرم إليه.

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: من الآية 55]

وقال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: من الآية 14]

وقال: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء: من الآية 32].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]

فَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ»(1).

ولكن إجابة الدعاء تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع متأخرا لحكمة، وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة، وفي ذلك الغير مصلحة ناجزة، والإجابة مقيدة بالمشيئة دل على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: 41]

فإن قوله "إن شاء" مقيد لإطلاق الآيتين السابقتين.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى مَسْأَلَةٍ إِلاَّ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ»(2).

---

(1) مسند أحمد 3/ 153، رقم (12571).

(2) أخرجه أحمد في المسند: 15/ 487، برقم (9785) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، والحاكم: 1/ 674، برقم (1829)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان: 2/ 43، رقم (1126). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب (1/ 248، رقم 711).

فضل الدعاء:

جعل رسول الله ﷺ الدعاء هو العبادة أو هو لب العبادة، والدعاء هو الدليل الأكبر على الإيمان بالله تعالى، وهو الدليل كذلك على حسن التوكل على الله وكمال الثقة به.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[1].

وفي رواية: " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةِ"[2].

مواطن قبول الدعاء:

فعلى الإنسان المسلم أن يلتمس الدعاء في الزمان والمكان وعند الأشخاص وعند الأحوال التي عسى الله أن يستجيب له فيها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ الله؛ فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَيُؤَمِّنَ رَوعَاتِكُمْ"[3].

والله جل وعلا قد دلنا على كيفية الدعاء، وعلى زمان الدعاء، وعلى مكان الدعاء، وعلى أولئك الذين يستجيب الله لهم الدعاء، وعلى الأحوال التي يستجيب الله عندها الدعاء.

فالله يستجيب الدعاء عند نزول المطر، والله يستجيب الدعاء عند ملاقاة العدو في الجهاد في سبيل الله، والله يستجيب الدعاء من الصالحين الذين انقطعوا بقلبهم لله عز وجل فكانت الدنيا في أيديهم وخرجت من قلوبهم فخرج منها الوهن.

---

(1) رواه الترمذي (كتاب الدعوات ـ باب فضل الدعاء) 5/ 456، رقم (3371).

(2) سنن أبي داود 2/ 76، رقم (1479)، و الترمذي (كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة المؤمن) 5/ 211، رقم (2969).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان باب في الرجاء 2/ 370، رقم (1083).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺقَالَ: « تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ»(1).

ويستجاب كذلك الدعاء في الأماكن الطاهرة المباركة، فيستجاب لمن أتى البيت الحرام ملبيا مستجيبا لنداء ربه قاصدا وجهه طالبا مرضاته معلنا بحمده معترفا بنعمته وربوبيته راجيا هدايته قائما بشكره وراغبا في مزيده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: 96-97]

وجعل الله عز وجل في الجمعة ساعة إجابة، وأخفاها تعالى في اليوم حتى نملأه بالدعاء والعبادة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ- ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهْوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ الله تعالى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا(2).

وفهم الصحابة من كلمة يصلي عموم الصلة بالله، سواء أكان يقف مصليا في ركعتين أم أربعة، في فرض أو نفل، أم كان بعد صلاة قد جلس يذكر الله، أو كان في حالة صلة وحالة دعاء.

والدعاء في كل حال ووقت يجب الإخلاص فيه لله تعالى وحده، فهو الذي يكشف السوء ويجيب المضطر ويدفع البلاء، ويمنح الخيرات والنعماء، قال تعالى:

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب صلاة الاستسقاء ـ باب طلب الإجابة عند نزول الغيث 3/ 360، والطبراني في المعجم الكبير 8/ 169، 7713. رقم (6252).

(2) رواه البخاري (كتاب الدعوات ـ الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة) 1/ 316، رقم (893).

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: من الآيات 2- 3].

وندعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وبغيرها من أسمائه العليَّة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية 180]

نماذج لما ورد في آيات الله عز وجل من الدعاء:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: من الآية 201].

قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: من الآية 4].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية 286].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۝١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: من الآيات 193- 194].

قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

[المؤمنون: من الآية 118].

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾

[آل عمران: من الآية 38].

قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: الآيات 40،41].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: من الآية 10].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: من الآية 126].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:5].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على جماعة المسلمين كفاية، إذا قام به البعض سقط وجوبه على الباقين.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]

ولوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط:

1 – أن يكون المتولي لذلك عالما بما يأمر به وينهى عنه، فالجاهل بالحكم لا يحل له الأمر ولا النهي، وليس للعوام أمر ولا نهي فيما يجهلونه.

2 – أن يأمن أن يؤديَ إنكاره إلى منكر أكبر مما ينهي عنه، كأن ينهى عن شرب الخمر فيؤدي نهيه عنه إلى قتل النفس.

3 – أن يغلب على ظنه أن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله، وأن نهيه عن المنكر مزيل له.

4 – ويشترط في إنكار المنكر أن يكون معلوما كونه منكرا بغير اجتهاد، فكل ما هو في محل الاجتهاد، فلا حسبة فيه.

وروى أبو نعيم في الحلية عن الإمام سفيان الثوري قوله: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اخْتُلِفَ فيه، وأنت ترى غيره، فلا تنهه.

الإمامة:

ويجب شرعا نصب إمام عدل، وهذا واجب على الأمة.

واتفقت الأمة بجميع طوائفها على وجوب نصب إمام للمسلمين، وطريق الوجوب السمع وإجماع الصحابة من بعد وفاة رسول الله ﷺ على تنصيب إمام.

ووجه وجوب الإمامة شرعا أن الله -عز وجل- أمر بتكاليف على الأمة لا تتم إلا بإمام يَرْجِعُ إليه أفرادهم.

وشروط الإمام أن يكون عدلا، والعدالة تعني:

1 - الإسلام؛ لأن الكافر لا يراعي مصلحة المسلمين.

2 - البلوغ والعقل؛ لأن الصبي أو المجنون لا يليان أمر نفسهما، فلا يليان أمر غيرهما.

3 - الحرية؛ لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده، ولا يهابه الناس.

4 - الصلاح أو عدم الفسق؛ لأنه لا يوثق بالفاسق في أمره ونهيه.

وطاعة الإمام واجبة على أفراد الأمة فيما يأمر به من معروف أو ينهى عنه من منكر.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59]

والإمام خليفة لرسول الله ﷺوليس خليفة عن الله، والإمامة سبيلها الاختيار والشورى بين المسلمين، وأهل السنة على أن الإمامة لم تكن بنص أو توقيف من رسول الله ﷺلأحد بعينه، إذ لو كان نصا لوجب اشتهاره، واتفق أهل السنة كذلك أن الأئمة من بعد رسول الله ﷺأبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وصحت إمامتهم جميعا عند أهل السنة ببيعة الصحابة لهم والإجماع عليهم.

تعظيم ما عظم الله:

يجب على المؤمن أن يعظم ما عظم الله من الأماكن والأزمان والأشخاص والأشياء، ظاهرا بتقديسها وتوقيرها وباطنا باعتقاد جلالها.

لقد اختار الله سبحانه وتعالى مما خلق من العوالم ما اصطفاه وعظمه وشرفه حيث قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾

[الحج:30].

وقال تعالى في تعظيم الشعائر: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:32].

فاصطفى تعالى من الشهور أربعة أشهر حرم، وهي المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، حرم فيها تعالى القتال، وعظم حرمة الدم، فيجب أن يعظم المؤمن حرمة هذه الشهور ويمتنع عن الاقتتال فيها وعن كل إثم واعتداء؛ لأنه يكون ظلما للنفس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:36].

كما أنه سبحانه عظم الليالي العشر من بداية ذي الحجة، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: 1– 2].

واصطفى تعالى شهر رمضان حيث أنزل فيه كتابه الخاتم الفرقان، مما جعله مقدسا عند المسلمين حيث قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ

بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:185].

وعظم سبحانه ليلة القدر في شهر رمضان وهي التي أنزل فيها القرآن على سيدنا محمد ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: 1 - 5].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 3 - 4].

واصطفى تعالى للمسلمين يوم الجمعة كزمن يجتمعون فيه ويتلاقون وهو يوم عيد أسبوعي للمسلمين، يعظمه المسلمون بلبس نظيف الثياب والاغتسال والتوسعة على الأهل والنفس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:9].

وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ-: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[1].

(1) سنن أبي داود 1/ 274، رقم (1046)، وصحيح ابن حبان 7/ 7، رقم (2772).

وعظم سبحانه يوم الاثنين ويوم عرفة ويوم عاشوراء.

وسُئِلَ رسول الله ﷺ عَنْ صَوْمِه يَوْمِ الاِثْنَيْنِ فقَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ. وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ». قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ»[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ- لَمَّا قَدِمَ المدِينَةَ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِى عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهْوَ يَوْمٌ نَجَّى الله فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لله. فَقَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ». فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ[2].

وقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ الله فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْملاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ»[3].

واصطفى - سبحانه وتعالى - موضع الكعبة المكرمة، وجعل لموضعها قداسة وحرمة في الإسلام، ومن شدة حرمتها وعظمتها أن الله جعل أحد أركان الإسلام زيارتها والطواف حولها وهو ركن الحج، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:96]. وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ

(1) صحيح مسلم 2/ 819، رقم (1162).

(2) صحيح البخاري 3/ 1244، رقم (3216).

(3) صحيح مسلم 2/ 982، رقم (1348).

وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:97]

وجعل سبحانه العدوان في المسجد الحرام ليس كغيره، بل الجناية فيه معظمة وعقوبتها مغلظة.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25]

ويعتقد المسلم وجوب تعظيم مكة كلها؛ لأنها تحوي الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، قال النبي ﷺ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً»[1].

وقال أيضا: «إِنَّ الله حَرَّمَ مَكَّةَ، فَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمُعَرِّفٍ»[2].

والمسلمون يعظمون المدينة لاشتمالها على جسد النبي ﷺ الطاهر، فالمسجد النبوي الشريف أفضل بقعة على وجه الأرض، بل هو أفضل مكان في الوجود، وذلك لأن المسجد النبوي الآن يحتوي على القبر الشريف الذي يضم الجسد الطاهر للنبي ﷺ، والمكان الذي يضم جسد أعظم المخلوقات هو أفضل الأمكنة على الإطلاق، قال العلماء: إنه أفضل بقاع الأرض حتى المسجد الحرام، وحتى الكعبة المشرفة، وإنه أفضل من السموات حتى العرش والكرسي، ومن ذلك ما ذكره الإمام السبكي، حيث يقول: «أما المدفن الشريف فلا يشمله حكم المسجد، بل هو أشرف

(1) صحيح البخاري 1/ 51، رقم (104).

(2) صحيح البخاري 2/ 651، رقم (1736).

من المسجد، وأشرف من مسجد مكة (يعني بيت الله الحرام) وأشرف من كل البقاع، كما حكى القاضي عياض الإجماع على ذلك، فالموضع الذي ضم أعضاء النبي ﷺ لا خلاف في كونه أفضل[1].

والمدينة المنورة اصطفاها الله بأن جعلها دار هجرة النبي ﷺونصرته، وبها مسجده الشريف الذي شارك في بنائه بيديه الشريفتين مع أصحابه رضوان الله عليهم، وصار مقر قيادته، وقيادة الخلفاء الراشدين من بعده.

ومن تعظيم المؤمن للأماكن كذلك يعظم المسجد الأقصى، أو بيت المقدس، وهي تلك المساحة التي تضم المسجد الأقصى الحالي ومسجد قبة الصخرة والمدرسة العمرية، قال تعالى عنها: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:1].

وهي تلك الأرض المقدسة التي أمر الله اليهود بدخولها في زمن موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة:21].

والمؤمن يعظم من الخلق من عظم ربنا، فيعظم من عالم الأشخاص [البشر] سيدنا محمد ﷺالذي هو أعظم البشر كلهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[2].

---

(1) فتاوى السبكي، ج1 ص 278.

(2) صحيح مسلم 1782/4، رقم (2278).

لذا ترى المؤمنين يجلونه ويحبونه ويوقرونه، ويموتون دفاعا عنه، ويتبعونه لقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]

ويعظم المسلم من عالم الأشياء المصحف الشريف، وهو كتاب الله الذي حوى كلامه المنزل القرآن الكريم.

والقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المعجز للإنس والجن أن يأتوا بمثله، والمنقول إلينا بالتواتر، والمجموع في المصحف الشريف الذي يفتتح بسورة الفاتحة ويختتم بسورة الناس، والمنزل باللغة العربية. وهو الرسالة الخاتمة والعهد الأخير للبشر الذي نزل على خاتم النبيين ﷺ.

الفصل الثاني

الصفات الإلهية

العلاقة بين الذات والصفات:

إن الصفات زائدة على الذات، وإلا لكان المفهوم من العلم ومن القدرة واحدا.

ولا يلزم من نسبة صفات متعددة زائدة إلى ذات واحدة الكثرةُ في ذات الله تعالى، لأن الزيادة على الذات أو الماهية لا تحصل إلا من جهة مفهوم الصفة لا ما صدقت عليه الصفة، فالوجود مثلا يعقل ويتصور دون الماهية وبالعكس، ولكن زيادته من حيث مفهوم الوجود وعنوانه لا ما صدق عليه الوجود.

والمخالفة بين كل موجودين تثبت بمخالفة ذاتيهما، وذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات، والمخالفة بينه وبينها لذاته المخصوصة لا لأمر زائد عليها، فالمخالفة بين كل موجودين من الموجودات إنما هي بالذات، وليس هناك ثمة اشتراك بين ذاته تعالى وذات غيره في الحقائق إلا في الأسماء والأحكام دون الأجزاء المقومة.

فالله تعالى منزه عن المثل المشارك في تمام الماهية تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

فإنه تعالى لو شاركه غيره في الذات والحقيقة لخالفه بالتعين ضرورةَ الإثنينية؛ فإن المتشاركين في تمام الماهية لا بد أن يتخالفا بتعين وتشخص حتى تمتاز به هويتهما ويتعددا، ولا شك أن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فيلزم التركيب في هوية كل منهما، والتركيب ينافي الوجوب الذاتي الحاصل لذاته تعالى.

أقسام الصفات:

الصفات الإلهية إما حقيقيةٌ محضة كالوجود ولا يجوز نسبة التغير فيها مطلقا، وإما ذاتُ إضافةٍ كالعلم والقدرة ولا يجوز أيضا التغير فيها وإنما يجوز التغير في تعلقاتها، وإما إضافيةٌ محضة كالمعية والقبلية ويجوز التغير فيها.

وكل ما يورده المتكلمون من رسوم وتعاريف لصفاته تعالى أو لذاته نوقن أنها مجرد تعابير لا تعتبر حدا حقيقيا لذاته أو صفاته، فسبحانه لا يعلم كنه ذاته أو صفاته على الحقيقة إلا هو.

ما يستحيل نسبته إلى الله من صفة

وكل ما يدل على الحدوث أو يسم صاحبه بالنقص فالله منزه متقدس عنه.

فلا يتصف سبحانه بشيء من الأعراض المحسوسة كالطعم واللون والرائحة والألم، وكذا اللذة الحسية، وأما اللذة العقلية فجوزها الحكماء بناء على أنه أدرك الملائم وهو أيضا مدرك لكماله.

والله تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بالمحاذاة، فلا تحيط به الأقطار، ولا تكتنفه الأرض ولا السماء، ويجل عن قبول الحد والمقدار.

فكل مختص بجهة شاغل لها متحيز فيها، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق مع الجواهر فهو لا يخلو عنها، وما لا يخلو عن الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر. وعليه فهو متعال عن المكان وعن مماسة الأجرام والأجسام.

فنحن نؤمن أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية؛ لأن الشيء لا يكون مخصوصا بحد إلا أن يخصه بذلك الحد، ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه، والصانع لا يكون مصنوعا ولا محدودا ولا مخصصا.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]

ولا يجوز أن يُنْسَبَ إلى الله عز وجل حقيقة الحركة والسكون، والذهاب والمجيء، والكون في المكان، والاجتماع والافتراق، والقرب والبعد من طريق المسافة، والاتصال والانفصال، والحجم، والجرم، والصورة، والحيز، والمقدار، والنواحي، والأقطار، والجوانب، والجهات.

الله منزه عن الجسمية والحيز

قال المشبهة: العالم والباري موجودان، والعلم الضروري حاصل بأن كل موجودين، فإنه لا بد أن يكون أحدهما حالًا في الآخر، أو مباينًا عنه، مختصًا بجهة من الجهات الست المحيطة به.

قالوا: والقول بالحلول محال، فتعين كونه مباينًا للعالم بالجهة.

وبهذا الطريق احتجوا بكونه تعالى مختصًا بالحيز والجهة.

وإنما سلك بهم هذا الطريق الوهمُ والخيالُ، والوهم والخيال لا يتصرفان إلا في المحسوسات، ومن شأنها أنهما يقضيان على كل شيء بالأحكام اللائقة بالمحسوسات، ومن الخطأ أن تُبنى عقيدة المسلم في ربه العلي الأعلى على الوهم والخيال.

ولو كان الله تعالى مشارًا إليه بالحس، لكان إما أنه حصل له امتداد في الجهات والأحياز، وكان أحد جانبيه مغايرًا للجانب الثاني، وهذا يوجب الانقسام في بديهية العقل، وإما أنه لم يحصل له امتداد في شيء من الجهات، لا في اليمين ولا في اليسار ولا في الفوق ولا في التحت، فيكون نقطة غير منقسمة، وكان في غاية الصغر والحقارة.

والعقلاء اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا مختص بشيء من الجهات، وأنه تعالى غير حالٍّ في العالم، ولا مباين عنه في شيء من الجهات.

وحَقِيقَة الجِسْم أَنه مؤلف مُجْتَمع، والْقَدِيم لا يكون مجتمعا مركبا وَيجب أن يكون شَيْئا وَاحِدًا، لأنه لَو جَازَ عَلَيْهِ أن يكون مركبا من أبعاض، لجاز أن يكون ذَلِك الْبَعْض مِنْهُ هُوَ الْإِلَه المعبود المستوجب للشكر دون غَيره، وأَن تكون الْعِبَادَة وَالشُّكْر واجبين لبَعض الْقَدِيم دون جَمِيعه، وإن كَانَت سَائِر أَبْعَاضه عَالِمَة حَيَّة قادرة جاز تفرد كل شَيْء مِنْهَا بِفعلٍ غير فعل صَاحبه وَأَن يكون كل وَاحِد مِنْهَا إِلهًا لما فعله دون غَيره، وَهَذَا محال.

صفات الذات الإلهية

وهي الصفات القائمة بذاته تعالى، وهي صفات المعاني السبع أو الثمان على الخلاف في ذلك، وهي قديمة كأسمائه.

إذ لو كانت حادثة للزم قيام الحوادث بذاته تعالى، وللزم كونه تعالى عاريا عنها في الأزل، وللزم افتقارها إلى مخصص، وهو ينافي وجوب الغني المطلق، وهو انتفاء الحاجات مطلقا.

وكذلك فالصفات السلبية قديمة أزلية.

بينما صفات الأفعال فليس شيء منها قديم، وذلك مذهب الأشاعرة.

وكلها ليست بعين الذات ولا بغيرها، والمراد بنفي العينية ظاهر؛ لأن من المعلوم أن حقيقة الذات غير حقيقة الصفات، وإلا لزم اتحاد الصفات والموصوف وهو لا يعقل.

وأما نفي الغيرية فالمراد به نفي الغير المنفك، لا مطلق الغير، فهي ليست منفكة عن الذات، وكذا فإن حقيقتها غير حقيقة الذات.

ومن توجه بعبادة إلى مجرد الصفات كَفَرَ، ومن تعلق بعبادة مجرد الذات فَسَقَ، والمستقيم **عِبَادَةُ الذات المتصفة بالصفات**.

صفة الوجود:

صفة ذاتية نفسية، وهي واحدة، ومعناها أن وجود ذاته تعالى لا لعلة، وأن الغير ليس مؤثرا في وجوده تعالى.

ووجود الله تعالى وجود كامل ذاتي، فهو موجود لذاته لا لعلة مؤثرة فيه، ومن خصائص الوجود الذاتي أنه لا يقبل العدم، ولم يسبقه عدم.

وهذا الوجود الكامل المطلق ليس إلا لله، ووجود ما عداه ناقص تبعي يقوم بين عدمين سابق ولاحق.

والوجود صفة ثبوتية يدل الوصف بها على الذات دون معنى زائد عليها.

يقول الإمام الأشعري عن الوجود: إنه عين الموجود.

ومراده أن الوجود ليس زائدا على الذات في الخارج، والصفة عموما يكفي فيها أن تكون مغايرة للموصوف وإن لم تكن زائدة على الذات في الخارج.

ويكفي المكلف أن يعرف أن الله موجود، ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته.

وبعض أهل الحقيقة ممن فنوا عن الخلق واستغرقتهم وحدة الشهود لم يكن يشاهد لغير الله وجودا، وقد غرق في ذلك من غرق، حتى وقع من بعض الأولياء ما يوهم الاتحاد والحلول كقول الحلاج: أنا الله. وكقول بعضهم: ما في الجبة إلا الله.

وهذا اللفظ لا يجوز شرعا لإيهامه، لكن القوم تارة تغلبهم الأحوال، فيؤول ما يقع منهم بما يناسبه.

صفة القدم:

وهي من الصفات السلبية أي التي دلت على سلبِ ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

ويقصد بها القدم الذاتي، وهو عدم افتتاح الوجود.

إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا، إذ لا واسطة، ولو كان حادثا لافتقر لمحدِث، ولو افتقر لمحدِث لافتقر محدِثه إلى محدِث، لانعقاد المماثلة بينهما، فيلزم الدور أو التسلسل، وكل منهما محال.

ولو كان سبحانه مسبوقا بالعدم لكان لا بد من مؤثر في إيجاده، ومحال أن يكون مع ذلك إلها، وعندئذ فلا بد أن يكون الإله هو السابق عليه والموجِد له، ويكون هذا المؤثر السابق هو القديم إذا.

فنؤمن بأن الله عز وجل لم يزل ولا يزال له الوجود السرمدي، وجاء في الخبر عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ اللهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَهُ»[1].

---

(1) هذا لفظ ابن حبان 7/14، وعند الحاكم قال: كَانَ اللهُ وَلاَ شَيْءَ غَيْرُهُ، المستدرك 371/2، رقم (3307) ولفظ البخاري: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» الجامع الصحيح 1166/3، رقم (3019).

صفة البقاء:

ومعناها امتناع لحقوق العدم بذاته سبحانه وتعالى، إذ كما لا يتصور وجود مؤثر في واجب الوجود بالإيجاد، فلا يتصور وجود مؤثر فيه بالإعدام، وإلا لم يكن واجب الوجود.

وهي صفة تفيد عدم الآخرية للوجود، ودليله أنه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم. فكل ما ثبت قدمه استحال عدمه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]

فالله تعالى لا أول له ولا آخر. وجميع المخلوقات فلها أول وآخر.

ولكن نعيم الجنة وعذاب النار له أول ولا آخر له، وقد علم ذلك من جهة الشرع لا العقل، لأن العقل يُجَوِّزُ عليهما العدم.

صفة المخالفة للحوادث:

ومعناها عدم مماثلته لها، فهو سبحانه ليس بجرم ولا عرض ولا كلي ولا جزئي، وهو منزه عما تستلزمه هذه الصفات أيضا من الأحوال والعوارض. كالتي تعتور الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى كالنوم والغفلة والجوع والعطش والحاجة والعوارض النفسية والجسمية.

ودليلها أنه تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث في كل صفة لكان مماثلا لها في الحدوث أو كانت مماثلة له في القدم، وهو محال.

ولو لم يكن مخالفا للحوادث من كل وجه للزم أن يكون مركبا، إذ لو شابه الحوادث في صفة أو عرض، فحتى تكون ذاته متميزة فإنه يخالفها في وجه آخر أو صفة أخرى، والتركيب يلزم عنه الحدوث، وهو محال.

يقول الإمام الأشعري: لأنه تعالى لو كان شبيها لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى محدِث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الأدلة على حدوث جميع الخلق واستحالة قدمه.

فنعتقد أن الله تعالى لا يتصف بما تتصف به الحوادث من صفات هي جوهر الحدوث كالتحيز في المكان والزمان والحاجات الجسمية والنفسية المختلفة وعوارض العجز والضعف.

والله منزه عن الشبيه أو النظير أو المثيل أو الشريك أو الوالد أو الولد أو الصديق أو العدو.

والشبيه هو المساوي في أغلب الوجوه.

وليس له تعالى شبيه في ذاته أو صفاته أو أفعاله؛ لوجوب مخالفته للممكنات.

والنظير هو المساوي في بعض الوجوه.

والمثيل هو المساوي في جميع الوجوه.

والله منزه عن الوالد؛ فلا يكون له والد أبا كان أو أما.

والله منزه عن الولد؛ فلا يكون له ولد ذكرا كان أو أنثى.

وإنما عيسى عبد الله ورسوله، خلقه تعالى بكلمته، بلا أب، كما خلق آدم من طين بلا أب ولا أم، وكما خلق حواء من آدم بلا أم.

والله منزه أن يكون له صديق على الوجه المعتاد، وهو الذي يعاون كلا منهما صاحبه وينفعه. ولا ينافي أن يكون لله صديق بمعنى المخلص في عبادته تعالى.

وكذلك فالله منزه أن يكون له أعداء على الوجه المعتاد، الذي يتربص كلا منهما بعدوه فيؤذيه ويضره أو يخيفه.

ولا ينافي أن يكون لله عدو بمعنى المخالف لأمره المحارب لأوليائه.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: 19]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 27]

ولا يَعْلَمُ اللهَ إلا اللهُ، وكل ما يقع عليه خاطرك فالله بخلافه.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

فإن الله موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال: متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، ولا مكان، كون الأكوان، ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يلحقه وهم، ولا يكتنفه عقل، ولا يتخصص بالذهن، ولا يتمثل في النفس، ولا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سني[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]

وروى الواحدي في أسباب النزول عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال: فالصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ نفي الكثرة والعدد.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ نفي القلة والنقص.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفي العلة والمعلولية.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفي الشبيه والنظير.

ولكن قد يتصف الإنسان وهو المخلوق الحادث ببعض الصفات التي هي من صفات الله تعالى، وهي صفات مَتَّعَ اللهُ الإنسانَ بفيوضات يسيرة جدا منها؛ ليتهيأ له بواسطتها أن ينهض بالتكاليف التي خُلِقَ من أجلها، وليتسنى له أن يسخر لنفسه

(1) [طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي في ترجمة ابن عساكر ص336].

مظاهر الكون التي من حوله ويفيد منها، وهذه الصفات ليست نابعة من كيانه المتميز بالحدوث.

فصفات العلم والقدرة والإرادة والإدراك وما شابهها صفات ذاتية بالنسبة لله تعالى وأما بالنسبة للإنسان فهي صفات غير ذاتية، إذ هي في حقيقتها ليست أكثر من فيوضات إلهية.

فالواجب قد يشترك مع الممكن في صفات كالوجود والعلم والقدرة وغيرها من الصفات، ولكن يجب التفرقة بين مفهوم الموضوع أو عنوان الموضوع وهو الصفة وبين ما صدق عليه المفهوم الذي يسمى ذات الموضوع.

فالوجود مشترك بين الواجب والممكن من حيث مفهوم الوجود أو عنوانه، لا ما صدق عليه الوجود.

قيامه – تعالى – بنفسه:

يعني عدم افتقاره إلى المحل وعدم افتقاره إلى المخصص.

نعتقد أنه تعالى قائم بذاته غير مفتقر إلى موجِد يوجِدُه ولا إلى محلٍّ يقوم به، فقد كان الله تعالى قبل وجود أي شيء وقبل وجود الزمان والمكان.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء.

ولو نسب لله تعالى مكان يتحدد فيه، وأمكن تصوره في مكانه ذلك، لكان عقلك أكبر إحاطة بالأشياء من إحاطة خالقها بها، وذلك يدل على عدم ألوهيته.

فنعتقد أنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان.

وخالف في ذلك المشبهة فخصصوه بجهة الفوق.

ثم اختلفوا، فذهب محمد بن كرام إلى أن كونه في الجهة ككون الأجسام فيها، وهو مماس للصفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات، وهذا معتقد اليهود، حتى قالوا: إن العرش يئط من تحته أطيط الرحل الجديد. أي من ثقله.

وقالوا: إنه يفضل على العرش من كل جهة أربعة أصابع.

وقالوا: بل هو محاذ للعرش غير مماس له. فمن قائل بينهما مسافة متناهية، وقائل: غير متناهية.

ومنهم من قال: كونه في مكان وجهة ليس ككون الأجسام في الجهة.

الرد:

لو كان تعالى في مكان للزم من ذلك قدم المكان.

ولو كان تعالى في مكان لكان في حاجة إلى مكانه، ومكانه مستغن عنه.

ولو كان تعالى في مكان فإما أن يكون في بعض الأحياز أو في جميعها، وكلاهما باطل.

فإن كان في بعض الأحياز فهو باطل؛ لأن الأحياز كلها متساوية، ونسبتها إليه متساوية، فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحا بلا مرجح. فيكون تعالى محتاجا لغيره يخصصه بحيز دون غيره، وهو محال.

وأما إن كان في جميعها فهو باطل أيضا؛ لأنه يلزم منه تداخل المتحيزين، وهو محال بالضرورة. ويلزم منه أيضا مخالطته تعالى لقاذورات العالم، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ولا يكون تعالى جوهرا؛ لأنه إما ألا ينقسم أو ينقسم، وكلاهما باطل.

أما الأول فلأنه يكون جزءا لا يتجزأ، وهو أحقر الأشياء.

وأما الثاني فلأنه يكون حينئذ جسما، وكل جسم مركب، والمركب محدث ضرورة، وهذا أمر ينافي الوجوب الذاتي له تعالى.

فلا يكون تعالى في حيز؛ لأنه لو كان متحيزا لساوى الأجسام في التحيز، ولا بد من أن يخالفها بغيره، فيلزم التركيب.

ولا ضرورة في العقل تجزم بأن كل موجود فهو متحيز أو حالٌّ فيه، وإنما ذلك حكم الوهم وغير مقبول.

قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم[1].

فالاستدلال بالظواهر الموهمة للتجسم من الآيات والأحاديث نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206]

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4]

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 7-9]

(1) شرح صحيح مسلم للنووي 5/ 22.

وما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ »[1].

وما روي عن عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ جَارِيَةً لِي كَانَتْ تَرْعَى غَنَمًا لِي فَجِئْتُهَا وَقَدْ فُقِدَتْ شَاةٌ مِنَ الْغَنَمِ، فَسَأَلْتُهَا عَنْهَا فَقَالَتْ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ. فَأَسِفْتُ عَلَيْهَا، وَكُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَطَمْتُ وَجْهَهَا، وَعَلَيَّ رَقَبَةٌ أَفَأُعْتِقُهَا ؟ فقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْنَ اللهُ ؟» فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ: « مَنْ أَنَا ». فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَعْتِقْهَا»[2].

وكلها ظواهر ظنية، لا تعارض اليقينيات، فوجب تأويلها أو تفويض فهمها إلى الله.

والخلاصة أننا نعتقد أنه تعالى لا يوجد في زمان أو مكان، ولا يتحد بغيره، ولا يحل في غيره، ولا يقوم به حادث؛ لأنه لو قام بذاته حادث فإنه لا يخلو عنه وعن ضده، وضد الحادث حادث، وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث.

صفة الوحدانية:

والوحدانية من الصفات السلبية، وهي الصفات التي مدلولها عدمُ أمرٍ لا يليق بالله سبحانه.

وتعني سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى، سواء الكمية المتصلة أو الكمية المنفصلة، فهو سبحانه وتعالى ليس مركبا من أجزاء ولا مكونا من جزئيات. فليس له سبحانه عِلمان ولا قدرتان بحيث تتمم كل واحدة منهما الأخرى،

(1) البخاري (كتاب الدعوات ـ باب الدُّعَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ) 2330/5، رقم (5962).

(2) موطأ مالك 5/ 54، 1473.

فهذا هو نفي الأجزاء عنه، وليس لغيره سبحانه وتعالى علم كعلمه أو قدرة كقدرته، وهذا هو نفي الجزئيات عنها.

والجزء من الشيء ما يتركب ذلك الشيء منه ومن غيره، بحيث لا يصدق اسم ذلك الشيء عليه وحده حتى تتكامل معه بقية أجزائه الأخرى، مثل الجدار من الغرفة والغلاف من الكتاب واليد من الإنسان، ويطلق على مجموع الأجزاء بعد تناسقها وتمامها اسم الكل.

والجزئي هو ما يندرج تحت الجنس أو النوع من الأعداد والأفراد، بحيث يصح إطلاق ذلك الجنس أو النوع على كل فرد من أفراده على حدة.

والمقصود بوحدانية الله تعالى أنه ليس كلا مركبا من أجزاء ولا كليا مكونا من جزئيات.

فيراد بصفة الوحدة لله تعالى وحدة الذات والصفات والأفعال أي عدم النظير فيهما.

فأما وحدة الذات فهي عدم جواز التركيب عليها، وأما وحدة الصفات أي عدم تعددها من جنس واحد كقدرتين فأكثر، وأما وحدة الأفعال أنه لا تأثير لغيره في فعل من الأفعال.

فالوحدانية الشاملة لوحدانية الذات والصفات والأفعال تنفي عن الله تعالى: تركب الذات من أجزاء، أو تعددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر، وتعددية الصفات من ناحية الجنس بمعنى أن يكون له قدرتان أو علمان، أو من ناحية أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى، كأن يكون لغيره قدرة أن يوجد شيئا أو يعدمه، أو يكون لغيره علم محيط بجميع الأشياء، وينفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل لغير الله على وجه الكسب والاختيار.

والدليل على امتناع وجود إلهين أو أكثر مستجمعين لشرائط الألوهية:

1 - لو وجد إلهان قادران على الكمال لكان نسبة المقدورات إليهما سواء، إذ المقتضي للقدرة ذاتهما وللمقدورية الإمكان؛ ولأن الوجوب والامتناع يحيلان

المقدورية فتستوي النسبة بين كل مقدور وبينهما، فإذًا يلزم وقوع هذا المقدور المعين إما بهما وهو باطل، لامتناع مقدور بين قادرين، وإما بأحدهما ويلزم الترجيح بلا مرجح.

فلو تعددت الآلهة لم يوجد شيء من الممكنات؛ لاستلزامه أحد المحالين: إما وقوع مقدور بين قادرين، وإما الترجيح بلا مرجح.

2 - إذا أراد أحدهما شيئا فإما أن يمكن من الآخر إرادة ضده أو يمتنع، وكلاهما محال، **أما الأول** فلأنا نفرض وقوع إرادته له؛ لأن الممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال، فيلزم إما وقوعهما معا فيلزم اجتماع الضدين، وإما لا وقوعهما فيلزم ارتفاعهما، فيلزم عجزهما لعدم حصول مرادهما. وأيضا يلزم اجتماعهما؛ لأن المانع من وقوع مراد كل منهما هو حصول مراد الآخر لا قادريته عليه، فإذا امتنع مراد كل منهما فقد حصل مرادهما معا، هذا خلف.

وأيضا فإذا فرض ما ذكرناه في ضدين لا يرتفعان كحركة جسم وسكونه لزم المحال وهو ارتفاعهما معا.

وأما وقوع أحدهما دون الآخر فالذي لا يقع مراده لا يكون قادرا كاملا فلا يكون إلها.

وأما الثاني وهو أن يمتنع إرادة الآخر ضده؛ فلأن ذلك الشيء الذي امتنع تعلق إرادة الآخر به هو لذاته يمكن تعلق قدرة كل من الإلهين وإرادته به، فالذي امتنع تعلق قدرته وإرادته به فالمانع عنه هو تعلق قدرة الآخر وإرادته به، فيكون هذا عاجزا. فلا يكون إلها، هذا خلف؛ لأنه خلاف المقدر.

قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]

والمراد بالفساد: عدم الوجود.

أي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا، لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة وجود السموات والأرض، فبطل ما أدى إليه وهو وجود جنس الآلهة غير الله، فثبت أن الله واحد، وهو المطلوب.

وليس المحال الجمع بينه تعالى وبين الآلهة فيهما فقط، بل المحال وجود جنس الآلهة غير الله، وإلا في الآية بمعنى غير، وليست أداة استثناء لفساد المعنى حينئذ.

لأن المعنى عليه: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا. فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وهو باطل.

والله منزه عن الضد أي المضاد له، وذلك أن الضدين هما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان، فلو فرض أن لله ضدا في ذاته أو صفاته لوجب ارتفاع ذاته أو صفاته ارتفاعا مطلقا إن ثبت الضد دائما أو ارتفاعا مقيدا بحالة وجود الضد إن لم يثبت دائما. لأنه متى ثبت أحد الضدين ارتفع الآخر، فالضدان لا يجتمعان، والله تعالى واجب الوجود قديم وكذا صفاته.

ومن توحيده تعالى توحيده في ربوبيته، وهو العلم بأنْ لا خالق غيره ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: 3]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله - ﷺ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(1).

(1) مسلم (كتاب الصلاة ـ باب مَا يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ)، 347/1، رقم (477).

ومن توحيده تعالى توحيده في ألوهيته، وهو العلم بأنه تعالى المستحق للعبادة وحده دون سواه، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]

وقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

[الأنعام: 162-163]

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « يَا غُلامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(1).

فنعتقد أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والرزق والعطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع، وهو الذي يجب أن يفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزيز الغني القادر المنعم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ

(1) الترمذي (كتاب صفة القيامة ـ باب قول النبي يا حنظلة ساعة وساعة) 667/4، رقم (2516).

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21-22]

فقد قرن تعالى في الآية بين طلب الإفراد في العبادة والتأليه مع تعدد النعم التي تفرد سبحانه بخلقها وتسخيرها للإنسان.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

[النمل: 62-64]

ومن توحيده تعالى توحيده في شرعه أي الاحتكام إليه، والعلم أنه لا حاكم إلا الله ولا محلل أو محرم سواه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]

وقال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[يوسف: 40]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 116]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 77]

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾

[الأنعام: 140]

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21]

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]

صفة القدرة:

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، وهي من صفات المعاني، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

وما يجب على المكلف العلم به والإيقان فيه أن الله عز وجل قادر على كل شيء.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ﴾ [الأنعام: 37]

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: 99]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44]

والدليل على اتصافه تعالى بالقدرة، أنه تعالى لو لم يكن متصفا بها لكان متصفا بضدها وهو العجز، وسبحانه منزه عنه.

وللزم أحد الأمور الأربعة:

إما نفي الحادث، أو عدم استناده إلى المؤثر، أو التسلسل، أو تخلف الأثر عن المؤثر، وبطلان اللوازم الأربعة دليل بطلان الملزوم.

وقدرته تعالى قديمة، وإلا لكانت حادثة وكانت مفتقرة إلى قدرة قديمة توجدها، وعدم القول بقدرة قديمة يلزم منه التسلسل، وهو باطل.

والقدرة واحدة لا تعدد فيها ولا كثرة، لأن الواحد الموجب لا يصدر عنه إلا الواحد.

وقدرته تعالى مطلقة غير متناهية من جهة الذات ومن جهة ما تتعلق به.

أما من جهة الذات فلأن التناهي من خواص الكم، والكم محال عليه.

وأما من جهة ما تتعلق به، فمعناه أن تعلقها لا يقف عند حد لا يمكن تعلقها بغيره، وإن كان كل ما تتعلق به بالفعل متناهيا، فتعلقاتها متناهية بالفعل، غير متناهية بالقوة.

وهذه الأحكام مطردة في بقية الصفات ذات التعلق كالعلم والإرادة.

فصفة القدرة لها تعلق صلوحي قديم، وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال، فهي تتعلق بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا وباستمرار

الوجود بعد العدم وباستمرار العدم بعد الوجود تعلق قبضة، أي أن الممكن في قبضة القدرة. فإن شاء الله أبقاه على عدمه أو على وجوده وإن شاء أوجده أو أعدمه.

وتتعلق القدرة بإيجادنا بالفعل بعد العدم السابق، وبإعدامنا بالفعل بعد الوجود، وبإيجادنا بالفعل حين البعث، تعلقا تنجيزيا حادثا في هذه الثلاثة.

والله قادر أن يصح منه إيجاد العالم وتركه، وليس شيء منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنه. فالقادر الذي هو مؤثر تام يجوز أن تتعلق قدرته بالإيجاد في ذلك الوقت الذي أوجد الحادث فيه دون غيره، بلا سبب يخص ذلك الوقت.

فإن قيل: إذا كانت قدرته متعلقة بهذا الطرف في الأزل فأي فرق بين الموجب والمختار؟

قلنا: إنه بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر عن تعلق قدرته يستوي إليه الطرفان: الإيجاد، والعدم. ووجوب هذا الطرف وجوب بشرط تعلق القدرة والإرادة به، لا وجوب ذاتي.

ولا يمتنع عقلا تعلق قدرته بالفعل بدلا من الترك، وبالعكس.

فإن قيل: القدرة نسبتها إلى الوجود والعدم سواء، والعدم غير مقدور؛ لأنه لا يصلح أثرا.

قلنا: لا نسلم أن العدم غير مقدور، وأنه لا يصلح أثرا.

وإن سلمناه فالقادر من إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، لا إن شاء فعل العدم.

فالله تعالى قادر حيث وجبت له القدرة، فهو إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهو متمكن من الفعل والترك على السواء، يصدران منه على وفق مصالح الخلق المترتبة على ذلك.

صفة الإرادة:

صفة قديمة أزلية، قائمة بذاته تعالى، من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها، من وجود وعدم وتكيف بقطع النظر عن أي مؤثر خارجي.

والإرادة واحدة، وتعلق الإرادة الإلهية بإيجاد شيء أو إعدامه قديم، ولا يمكن أن يكون حادثا، إذ لو كان كذلك، لكان من مستلزماته أن لا يكون الله عالما ببعض ما يريد خلقَهُ وفعلَهُ في المستقبل، وهو محال.

فثبت عكسه، وهو أن الله يعلم في الأزل كل ما سيفعله وسيخلقه في الحين والوقت الملائمين.

وقال الإمام الأشعري: إرادة الشيء عين كراهة الضد.

وإرادته تعالى قديمة، إذ لو كانت حادثة لاحتاجت إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل.

والقدرة والإرادة إن نظرت إلى تعلقهما الصلوحي فهو تعلق أزلي قديم، وإن نظرت إلى تعلقهما التنجيزي فهو تعلق حادث.

ومعنى ذلك أن الله خصص في الأزل وجود الشيء على عدمه، وكان يتأتى له في الأزل أن يرجح بإرادته عدمه على وجوده، فإرادة الله في الأزل صالحة لترجيح كل من الوجود والعدم.

والقدرة صفة تؤثر وفق الإرادة، فما خصصه الله بإرادته أبرزه بقدرته.

فتعلق الإرادة لكونه أزليا سابق على تعلق القدرة لكونه تنجيزيا حادثا، والصفتان قديمتان، ولكن الترتيب بين التعلقين لا بين الصفتين.

والقدرة والإرادة يتعلقان بالممكنات فقط، ولا شأن لهما بالواجب أو المستحيل، وليس هذا عجزا أو نقصا، وإنما الإرادة الكاملة التامة ليس من شأنها أن تتجه إلى الواجب ولا إلى المستحيل، وكذلك القدرة.

لأنه إن تعلقت إرادة الله بإيجاد المستحيل مثل الشريك في الألوهية فأوجدته. فإنه حينئذ ما كان مستحيلا.

لأن معناه أن الله قد أوجد إلها مثله واجب الوجود، وواجب الوجود يستحيل أن يكون مسبوقا بعدم.

فلا تتعلق القدرة أو الإرادة بالواجب أو المستحيل؛ لأنها إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه؛ لأنه لا يقبل العدم، ولا يصح أن توجده؛ لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

مسألة: خلق أفعال العباد والإرادة الإنسانية.

خلق الإيمان:

الإيمان مخلوق؛ لأنه إما مع التصديق بالجنان أو مع الإقرار باللسان، وكل منهما مخلوق.

والله عز وجل هو خالق كل شيء، خالق الإنسان وخالق الأفعال، وخَلْقُ الفعلِ هو خَلْقُ القدرةِ على فعله، والإنسان مخلوق مكلف مختار، ومعنى خلق الله لفعله هو أنه خلق في الإنسان قدرة على الاختيار بين الفعل والترك.

والفعل خيره وشره والإيمان والكفر من خلق الله، ولكن الأدب يستوجب علينا أن لا ننسب له إلا الحسن، فينسب الخير لله، والشر للنفس كسبا وإن كان منسوبا لله إيجادا.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 77-79]

وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]

ومن أدب الخضر أنه قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: 72]

بينما قال عن أمر السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: 79]

وكذلك فعل الخليل إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: 77-79]

ثم قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فمن تأدبه مع ربه لم يقل: "أمرضني".

ثم عاد فقال: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾

ومِنَ المُسَلَّمِ به أن الكل من الله تعالى.

فالمؤثر الحق هو الله عز وجل، وليس بين الأسباب ومسبباتها تلازما ضروريا عقليا، ومن اعتقد أن بين الأسباب ومسبباتها تلازما عقليا بحيث لا يصح تخلفها أبدا، فهو جاهل، وربما جره ذلك إلى الكفر؛ لأنه تبعا لذلك قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة، والحق أن يعتقد أن الله خلق الأسباب والمسببات، وجعل بينهما تلازما عاديا وسنة محكمة، وأن الأمر بيده سبحانه، فقد يعطل الأسباب فلا تنتج مسبباتها، وقد يخلق المسببات بلا أسباب بقدرته.

وأفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى.

قال القاضي الباقلاني: على أن تتعلق قدرة الله بأصل الفعل، وقدرة العبد بكونه طاعة أو معصية.

وقال إمام الحرمين: واقعة بقدرة يخلقها الله تعالى في العبد.

فقد تعلقت إرادة الله عز وجل بأن يغرس في كيان الإنسان الاختيار والإرادة، وعليهما مدار التكليف فيه.

فإرادة الله تعلقت بأن يكون الإنسان مريدا، وبذلك سرت إرادة الله عز وجل إلى كل ما يريده ويختاره من الأعمال، وإذًا فلا يمكن أن يقع أي تعارض بين إرادة الله تعالى وإرادة العبد. فالعبد مختار لفعله غير مجبر عليه، وهو قادر عليه مكتسب له، وفعله مفتقر لإرادته.

فنعتقد أنه لا يقع شيء في الكون إلا بإرادة الله ومشيئته، وإلا لكان ثمة ما هو موجود رغما عنه وفوق اختياره، وهذا هو عين العجز والضعف، والله منزه عن ذلك.

فإرادة الله تعلقت بأن يوجد المؤمن والكافر في الحياة، وأن تنفعل مخلوقات الله المسخرة للإنسان سواء كان عاصيا أو طائعا، ولكنه تعالى لا يرضى لعباده إلا الإيمان، ولا يحب لهم إلا الطاعة، ولا يأمرهم إلا بالخير والعدل والتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]

وإذا فكفر أبي جهل وعناد أبي لهب داخلان في مرادات الله عز وجل، دون رضاه وأمره.

فخلق الله لأفعال العباد لا يستلزم أن يكونوا مكرهين عليها، وليس هناك تلازم بين الأمرين.

فإن اكتساب العبد لفعل يتوقف على أمرين: وجود هذا الفعل في الخارج، أي وجود مقوماته كلها المادية والمعنوية، وتوجه إرادته وقصده إلى فعله.

مسألة التحسين والتقبيح

نعتقد أنه لا يجب على الله تعالى شيء من قبيل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود الشرع.

وأن الأشياء لا تنطوي انطواء ذاتيا على شيء من الحسن والقبح، ولا يمكن أن تكون متسمة بحسن أو قبح متأصلين فيها بالطبع لا بالخلق.

وأن الله هو الخالق لجميع الأشياء بجميع صفاتها، فهو الخالق لمعنى الحسن ومعنى القبح فيها، ثم هو الرابط والجامع بين ذلك الشيء وهذا المعنى.

ونعتقد أن الله فاعل مختار لا يخرج شيء عن إرادته ومشيئته، وليس سبحانه مجبورا على شيء في خلقه أو في حكمه، إذ لو كان مجبورا لكان سبب الجبر هو ضرورة اتباعه الأصلح والأفضل، وتجنبه الفاسد والقبيح.

والذي جعل الصالح صالحا والفاسد فاسدا والقبيح قبيحا هو الله عز وجل، ولا شيء يسمى بالنظر لذاته حسنا أو قبيحا، والأمور كلها بالنسبة إلى الله في بدء الخلق سواء.

ولكن الله عز وجل كتب على نفسه في صريح كتابه أنه يثيب الطائع لطفا منه ورحمة، فلا بد أن ينفذ وعده؛ لأنه أخبرنا بذلك، ولأنه أصدق الصادقين، ولأنه جعل الصدق بشرعه حسنا والكذب قبيحا.

وخَلْقُ الله للشيء القبيح أو الضار ليس من النقص في شيء، ولا يجب تنزيه الله عنه، لأن من صفات الكمال الثابتة لله أنه خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء لا يصده عن ذلك عرف أو قانون، وليس خلقه لأصناف الموجودات من قبيح وحسن وضار ونافع إلا مظهرا لهذه الصفة الكاملة.

ولكن المُنَافِيَ لصفة الكمال والمستلزم للنقص أن يقال: إن الله اكتسب القبيح أو اتصف به. ولا نقول بذلك أبدا.

والعقل بمفرده لا يستطيع أن يستظهر حكم الله في الأشياء بموجب ما يتراءى فيها من صفة الحسن أو القبح؛ لأن ما يظهر عليها من هذه الصفة ليس ضرورة عقلية ملازمة للذات، بحيث لا بد أن يكون حكم الله تابعا لها، وإنما هو ارتباط جعلي أو تصور خيالي.

وأفعال العباد ليست على صفات نفسية حسنًا وقبحًا، بحيث لو أقدم عليها مقدم أو أحجم عنها محجم استوجب على الله ثوابًا أو عقابًا، وقد يحسن الشيء شرعًا ويقبح مثله المساوي له في جميع الصفات النفسية.

فمعنى الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله، ومعنى القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله.

وإنه ما من وقت من الأوقات إلا ويتقلب العبد في نعم كثيرة من نعم الله تعالى ابتداء بأجزل المواهب وأفضل العطايا، من حسن الصورة وكمال الخلقة وقوام البنية وإعداد الآلة وإتمام الأدلة وتعديل القناة.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]

والوجوب في حق الله تعالى غير معقول على الإطلاق، فلا ابتداء الإنعام واجب عليه فعلًا، ولا إذا قابل العبد نعمه تعالى بشكر يسير كان الثواب واجبًا عليه.

ولا يجب على الله تعالى شيء فما أنعم به فهو فضل منه، وما عاقب به فهو عدل منه، ويجب على العبد ما يوجبه الله تعالى عليه، ولا يستفاد بمجرد العقول وجوب شيء، بل جميع الأحكام المتعلقة بالتكاليف متلقاة من قضية الشرع وموجب السمع.

والدليل على أنه لا يجب على الله شيء أن حقيقة الواجب ما يستوجب اللوم بتركه، والرب سبحانه وتعالى يتعالى عن التعرض لذلك.

وتعذيب المطيع وتنعيم العاصي أمران بالنظر إلى ذاتيهما جائزان عقلًا، ولكن العلم بالخبر الصادق القطعي من جهة الشرع يحكم باستحالتهما، وكذلك التكليف بما لا يطاق أمر جائز عقلًا بالنظر إلى ذاته، وإلا لما صح في العقول تصوره، ولكنه من جهة الشرع لا يقع.

والخلاصة أن الأمة قد أجمعت على أن الله لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب، فالأشاعرة من جهة أنه لا قبيح منه ولا واجب عليه. وأما المعتزلة فمن جهة أن ما هو قبيح منه يتركه، وما يجب عليه يفعله.

مسألة: أفعال الله منزهة عن العلة الغائية

ولو قلنا: إن أفعال الله عز وجل تنطوي على العلة الغائية كما هو الشأن بالنسبة لنا. لاستلزم ذلك القول بأن الله عز وجل متصف ببعض النقائص، وأنه يستكمل هذه النقائص بغيره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولا يوهم هذا الكلام أن في فعل الله وخلقه عبثا، والعبث محال على الله بصريح القرآن، وذلك أن الله عز وجل بث نظام العلية في المكونات والمخلوقات، وأن من وراء أفعال الله حِكَمًا ومصالح تأتي مترتبة عليها يعلمها الله عز وجل دون أن تكون هذه الحكم والمصالح عللا غائية دافعة له إلى تلك الأفعال.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾

[المؤمنون: 115-116]

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآىِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: 7]

فقد شاء الله عز وجل أن يجعل لمخلوقاته المختلفة حِكَمًا ومصالحَ عظيمة كان قادرا على أن يوجد تلك المصالح بدونها، ولكنه أراد أن ينبه عقول العباد عن طريق هذا الترتيب والتنظيم الجعلي إلى أن للعالم خالقا ومدبرا.

صفة العلم:

وهي صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء.

نعتقد أنه - تعالى - عالم بما لا نهاية له من المعلومات على التفصيل من غير أن يحصل له فيه اشتباه والتباس.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: 37]

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: 255]

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ

مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61]

والله عالم ضرورة، ودليل ذلك ما يظهر في خلقه وفعله من الإتقان.

وهو سبحانه عالم بالكليات والجزئيات؛ لأنهما مقدوران له، وقد صدرا عنه على صفة الإتقان.

ومن نفى العلم عن الله بحجة أن العلم يتعدد ويتغير بحسب كل معلوم، فيلزم من إثباته أن يكون في ذات الله كثرة غير متناهية.

فالجواب إنه كثرة في الإضافات فقط ولكن العلم واحد، وذلك غير ممتنع.

فعلم الله تعالى ليس زمانيا، وهو علم واحد، علم ما وجد هو عين علمه بأنه سيوجد، ولا تغير في علم الله.

فالله عليم حيث وجب له العلم، وعلمه شامل لكل ما من شأنه أن يُعْلَمَ، والمبالغة في الصيغة باعتبار الكثرة في المتعلق لا في الصفة، فصفة العلم واحدة لا تكثُّر فيها.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: 37]

وتغير الأشياء بين الماضي والحال والاستقبال هو تغير في أطوار المعلومات لا يوجب تغيرا في تعلق العلم، فالمتغير إنما هو صفة المعلوم لا تعلق العلم.

والمولى عز وجل يعلم الأشياء أزلا إجمالا وتفصيلا، ويعلم الكليات والجزئيات، ويعلم سبحانه ما لا نهاية له ككمالاته وأنفاس أهل الجنة، فيعلمها تفصيلا، ويعلم أنه لا نهاية لها، وتوقف التفصيل على التناهي إنما هو بحسب عقولنا.

ولا يقال لعلم الله أنه كسبي؛ لأنه يلزم منه قيام الحوادث بذاته تعالى، ويلزم منه أيضا سبق الجهل في حقه، وهو محال.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: 143]

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12]

فهو مؤول على أن المراد ليظهر لهم متعلق علمنا.

وعلمه تعالى غير مكتسب، وفعله غير معلل، واللام في الآية للعاقبة والفائدة.

صفة الحياة:

وهي صفة يصح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، واتفق على اتصافه بالحياة لأنه عالم قادر فهو حي بالضرورة.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255]

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111]

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 57]

صفة الكلام:

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر، والإعراب والبناء، وعن السكوت النفسي الذي تُدَبِّرُ فيه النفسُ كلامَهَا مع القدرة عليه، ومنزهة عن الآفة الباطنية التي تُعْجِزُهُ عن الكلام، عبر عنها نَظْمُ ما أوحاه الله إلى رسله كالقرآن والتوراة والإنجيل.

ويكفي المكلف أن يعلم أن الله تعالى متكلم بكلام قديم، بغير آلة للكلام، وكلامه ليس بحرف ولا صوت ولا ألحان ولا نغمات؛ لأن الحروف تتوالى وتترتب ويقع بعضها مسبوقا ببعض، وكل مسبوق فهو حادث، والحدوث ممتنع الحصول في ذاته تعالى.

وكلام الله قديم لامتناع الحوادث بذاته تعالى، والأصوات والحروف حادثة، وإنما كلامه القديم هو المعنى القائم بالنفس، وهو غير العبارات، إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام، بل قد يدل عليه بالإشارة والكتابة كما يدل عليه بالعبارة، والطلبُ واحدٌ لا يتغير.

فما يقرؤه القراء بألسنتهم ويكتبوه في مصاحفهم فهو فِعْلُهُمْ الذي أُمِرُوا به ويُجازَوْنَ عليه، وأما كلام الله فهو المعلوم المفهوم من هذه القراءة.

والكتابة ما هي إلا أحرف منظومة وأشكال مرقومة، وهي حوادث، وأما المفهوم منها فهو كلام الله القديم.

وكلامه تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها، ولكن لها أقسام اعتبارية، فمنها ما تعلق بطلب فعل كالعدل فهو أمرٌ، ومنها ما تعلق بترك فعلٍ كالزنا فهو نهيٌ، ومنها ما كان إخبارا وإعلاما فهو خبرٌ.

والكذب ممتنع على كلامه تعالى؛ لأن الكذب قبيح، ومناف للمصلحة، وهو نقصٌ وعجزٌ.

وقد اتفق المسلمون كلهم على تنزيه الله تعالى، والتمسك بمحكم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وفَهْمِ بعض المتشابهات التي يُوهِمُ ظاهرُها إثبات ما ينافي كمال الله وألوهيته في ضوء ما قطعت به النصوص المحكمة من التنزيه.

صفتا السمع والبصر:

هما صفتان أزليتان قائمتان بذاته تعالى، تتعلقان بالمسموعات والمبصرات أو بالموجودات، وتفيدان إدراكه تعالى لها إدراكا تاما، لا عن طريق التخيل والتوهم، ولا عن طريق تأثير حاسة ووصول هواء أو شعاع.

وكونه متكلما أو سميعا أو بصيرا ليس إلا أنه ذات لها السمع والبصر والكلام، وإطلاق المشتق وصفا لشيء يقتضي ثبوت مأخذ الاشتقاق له.

ودل على اتصافه بالسمع والبصر كونه تعالى حيا، وكل حي يصح اتصافه بالسمع والبصر، ومن صح اتصافه بصفة اتصف بها أو بضدها، وضد السمع

والبصر هو الصمم والعمى، وهما من صفات النقص فامتنع اتصافه تعالى بهما، فوجب اتصافه بالسمع والبصر.

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1]

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 171]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 171]

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتعالى جَدُّهُ»[1].

والله عز وجل يسمع ويبصر بغير آلة.

والسمع والبصر ثابتان لله تعالى في الأزل، ولا يلزم من ذلك قدم المسموع أو المبصر، لأن انتفاء التعلق لا يستلزم انتفاء الصفة، كما في سمعنا وبصرنا، فإن خلوهما عن الإدراك لا يوجب انتفاءهما أصلا.

صفة الإدراك:

صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يدرك بها كل موجود، وهي صفة واحدة، يتصف بها سبحانه على ما يليق به، من غير اتصال بالأجسام، ومن غير وصول اللذات والآلام له تعالى.

---

(1) البخاري (كتاب الجهاد ـ باب مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ) 1091/3، رقم (2830).

ودليلها أنها صفة كمال، وكل كمال واجب لله تعالى؛ لأنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها، وهو نقص، والنقص عليه تعالى محال.

أسماء الله الحسنى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: 170].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء:110].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: 7].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحشر: 24]

والحسنى مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل، كالكبرى والصغرى وهي ضد السوآى، أي لله تعالى أحسن الأسماء وأجلّها وأعظمها وأشرفها؛ لاشتمالها على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد وهي أحسن المعاني وأشرفها، وعلى صفات الجلال والكمال لله رب العالمين.

وأسماء الله تعالى قديمة كصفات الذات، ومعنى قدمها أن الله صالح لها أزلا، فهي قديمة باعتبار الصلاحية، أو أن قدمها من حيث مدلولها الأزلي على معاني الأسماء.

واختلف في الأسماء هل هي متفاضلة أم متساوية.

فذهب البعض كابن العربي أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر؛ لرجوعها كلها إلى ذات واحدة، وإن وقع فيها تفاضل فإن ذلك لأمر خارج.

وذهب البعض إلى أنها متفاضلة مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40]

قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45]

فلفظ الجلالة الله هو الاسم الأعظم، وهو أعلى مرتبة من سائر الأسماء.

وروى الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

وفي رواية الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ للهِ تعالى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللهُ الَّذِي **لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتعالى الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ** »[2].

قال الإمام النووي: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى، وليس معناه أنه ليس له تعالى أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما المقصود منه أن هذه التسعة والتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة وله أسماء أخرى كثيرة، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ**

(1) متفق عليه، البخاري: 2/ 981، برقم (2585)، مسلم: 4/ 2062، برقم: (2677).

(2) الترمذي (كتاب الدعوات ـ باب أسماء الله الحسنى) 5/ 530.

فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَذَهَابَ هَمِّي، وَجَلَاءَ حُزْنِي»[1].

ومعنى أحصاها: حفظها. وقيل: عدّها. وقيل: أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه، وصدّق بمعانيها، وعمل بمقتضاها. وقيل: أخطر بباله عند ذكرها بلسانه معانيها، وتفكر في مدلولاتها متدبرًا ذاكرًا، راغبًا راهبًا، معظمًا لها ولمسماها، مقدسًا للذات العلية، مستحضرًا بباله عند ذكر كل اسم المعنى الدال عليه.

ويجب تنزيه أسمائه تعالى وصفاته وأفعاله عما لا يليق بعظمته وجلاله، ويجب تنزيه سائر أسمائه وصفاته أيضًا عن تفسيرها بما يوهم نقصًا في حقه تعالى وينافي كماله، كتفسير الرحيم برقيق القلب؛ لاستحالة ذلك عليه.

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: 1-2].

أي: نزِّه اسمه تعالى عن إطلاقه على غيره، فيقال له: الله أو الرحمن.

ومذهب جمهور أهل السنة أن أسماءه تعالى توفيقية وكذا صفاته، فلا يثبت لله اسما ولا صفة إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع.

وتوقيف الشارع هو إذنه، الذي نعلمه بالسمع حقيقة كالوارد في الكتاب أو السنة، أو نعلمه حكما كالثابت بالإجماع مثل الصانع والموجود والواجب والقديم.

قال الإمام النسفي في تفسيره: من أسمائه تعالى ما يستحقه بحقائقه «كالحي» قبل كل شيء، «والباقي» بعد كل شيء، «والقادر» علىٰ كل شيء، «والعليم» بكل شيء، «والواحد» الذي ليس كمثله شيء.

(1) صحيح ابن حبان 253/3، رقم (972).

ومنها ما تستحسنه النفس لآثارها، كالغفور والرحيم والشكور والحليم. ومنها ما يوجب التخلق به كالعفو. ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير، ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر[1].

وقال الإمام الآلوسي في تفسيره: ومن أسمائه تعالىٰ ما لا يجوز إطلاقه علىٰ غيره سبحانه كـ: الله، والرحمن، وما يجوز كـ: الرحيم، والكريم.

ومنها ما يباح ذكره وحده كأكثرها، وما لا يباح ذكره وحده كالمميت والضار، فلا يقال: يا مميت أو يا ضار، بل يقال: يا محيي يا مميت. يا نافع يا ضار[2].

وذلك تأدبًا في حقه تعالىٰ، وتفاديًا من إيهام ما لا يليق بجلاله تعالىٰ.

فما أذن الشارع في إطلاقه واستعماله جاز وإن أوهم كالصبور والشكور والحليم، فإن الصبور يوهم وصول مشقة لله تعالى؛ لأن الصبر حبس النفس على المشاق، فيفسر في حقه تعالى بأنه لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. والشكور يوهم وصول إحسان إليه؛ لأن معناه كثير الشكر لمن أحسن إليه، مع أن الإحسان كله من الله، فيفسر في حقه تعالى بأنه يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعما في الآخرة غير محدودة، أو هو المجازي على الشكر، أو هو المثني على من أطاعه.

وكذلك اسمه الحليم فهو يوهم وصول أذى إليه، وهو تعالى لا يصل إليه أحد بأذى، فيفسر في حقه تعالى بأنه لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

وهذا هو منهج أهل الحق في تلقي النصوص التي توهم تشبيه الخالق بالخلق أن تأول، بمعنى أن تحمل على خلاف الظاهر، أو تفوض أي يفوض المراد من النص الموهم إليه تعالى.

ويجب مع التأويل أو التفويض قصد التنزيه له تعالى عما لا يليق به.

---

(1) تفسير النسفي: 2/ 48.

(2) تفسير الألوسي، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ 5/115.

تفصيل وشرح الأسماء الحسنى:

لا شك أن جميع المخلوقات الموجودة في هذا الكون الفسيح هي مظهر من مظاهر صفات الله تعالى.

فالصفات غير الأسماء؛ لأن الأسماء هي كل ما دل على ذات الله تعالى مع صفات الكمال القائمة به، مثل: الحي، العليم، السميع، البصير، فهي تدل على ذات الله، وما قام به من الحياة، والعلم، والسمع، والبصر.

فالصفات: هي نعوت الكمال القائمة بذات الله تعالى، كالحياة والعلم والسمع والبصر. ومما يجب على المسلم أن يؤمن به أن صفات الله تعالى ليس لها شبيه ولا نظير فيما يتصف به الخلق من صفات سوى الأسماء والأحكام فقط، فما يقال في الصفات ممن تتريه يقال في الأسماء من تتريه، فالله سبحانه متصف بكل الكمالات، متره عن كل النقائص، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].

ومن أغراض الوقوف على صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى هو التعلق بها لإظهار العبودية والافتقار، والتخلق بما يصلح أن يتحلى به الإنسان، والتحقق بمعناها في التعامل مع الكون بما يظهر شيئًا من رحمة الله الرحمن الرحيم.

فالاسم علم على الذات، وأما الصفة فهي معنى قائم بالذات، وعلى ذلك فالاسم هو الله، وبقية الأسماء وإن كانت في جلها صفات إلا أنها لما بلغت الغاية العظمى في معناها عُنِي بها الله (أي الاسم) ودلت على العملية، فالرحمن غاية ونهاية في الرحمة، ولا يكون ذلك إلا لله، والقوى غاية في القوى والقوى ولا يكون ذلك إلا لله، ولذلك عندما تطلق تلك الصفات تدخل في دائرة الأسماء، فالصفة نقلت من دائرة الصفة إلى دائرة الاسم لتمام المعنى فيه فلا يستحقه إلا الله، وهذا النقل معروف من لغة العرب.

ولقد اشترط العلماء لنقل الصفة لتكون علمًا على ذات الله وجوب أن تكون المادة اللغوية أو الجذر اللغوي قد ورد في نصوص الوحي كصفة منسوبة إلى الله ، وألا توهم تلك الصفة نقصًا ولا عيبًا.

فقد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلب على الله اسمًا ولا صفقة توهم نقصًا ولو ورد ذلك نصًا.

فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق ولا ماكر. وإن ثبت في قوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾، ﴿أَم نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾.

وأسماء الله الحسنى منها: أسماء الجلال: كالمنتقم المتكبر الجبار القوي ذو الجلال والإكلام. وهذه حقها من العبد التعلق والافتقار.

ولا يتخلق الإنسان بالكبر، ولا بالعلو، ولا بالانتقام أو الكبرياء، ويمنعه تعلقه بهذه الأسماء في حق الله تعالى أن يتخلق بها، فهي في حق الله مدح وكمال وفي حق العبد نقص ومذمة؛ لأن الله عز وجل مستحق للاتصاف بها قادر على إنفاذها وتحقيقها، وأما العبد فهو يعلم من نفسه فضلًا عن غيره أنه عاجز وضعيف.

وأسماء الجمال: كالرحمن الرحيم العفو الغفور الرؤوف الودود. وهذه الصفات التي تدعو الناس إذا ما تخلقوا بها إلى رقة القلوب، فحقها من العبد التخلق والاقتداء.

وأسماء الكمال وهي الأسماء المزدوجة، وتكذر سويًا أدبًا مع الله، فتقول: المعز المذل، المحيي المميت، الناقع الضار، الأول الآخر، الظاهر الباطن،

وهذه الأسمال حقها من العبد التحقق والمعرفة والإيمان.

الرَّحْمَن الرَّحِيم: مشتقان من الرحمة، وهي في الأصل رقة في القلب، وتقتضي التفضل والإحسان، ولاستحالة ذلك في حقه تعالى فإن المقصود بهما غاية التفضل والإحسان أي إرادة إيصال الخير والثواب لمن يشاء الله من عباده ودفع الشر عنهم أزلًا، أو هي إيصال الخير لهم ودفع الشر عنهم فيما لا يزال، وعلى الأول يكون الرحمن والرحيم من صفات الذات، وعلى الثاني يكون من صفات الفعل.

(الرحمن) بما ستر في الدنيا وأفاض من الخير على المحتاجين من عباده، و(الرحيم) بما غفر في العقبى، وجاد بالفضل والإنعام على العباد.

(الرحمن) الذي إذا سُئل أعطى. (الرحيم) الذي إذا لم يُسأل يغضب.

(الرحمن) بإزالة الكروب والعيوب. (الرحيم) بإنارة القلوب بالغيوب.

الرحمن بتعليم القرآن. والرحيم للمؤمنين بتشريف التسليم والتكريم.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: 1-2]

وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: 57]

أو الرحمن الرحيم بكل ذلك وهو الأولى.

والرحمن عند الأكثر أبلغ من الرحيم، ولذا اشتهر في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، ومعلوم أن رحمته تعالىٰ في الدنيا شاملة للمؤمن والكافر والصالح والطالح، وذلك بإيصال الرزق وخلق الصحة ودفع الأسقام والمصائب، بخلاف رحمته في الآخرة، فإنها مختصة بالمؤمنين.

ومرتبة الرحمة أعلىٰ المراتب؛ ولذلك وصف الله بها رسوله ﷺ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: من الآية 159] وقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[التوبة: من الآية 127].

ومدح الرسول ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فقال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ»[(1)].

وفي الحديث: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[(2)].

وفيه «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[(3)].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الملك: من الآية 29]

وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: من الآية 100]

وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:2]

وقال: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]

وقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]

وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: من الآية 90]

المَلِك: بكسر اللام، المتصرف في الممكنات بالأمر والنهي، أو المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بإرادته وقدرته وحكمته، أو ذو الملك والعظمة والسلطان والغنىٰ، أو المستغني بذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما سواه.

قال تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 2]

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 5/ 664، برقم (3790)، وأخرجه ابن ماجه في سننه: 1/ 55، برقم (154).

(2) أخرجه الإمام أحمد: 11/ 33، من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، وأخرجه أبو داود: 2/ 140، برقم (4941)، والترمذي: 4/ 323، برقم (1924)، وقال: حديث حسن صحيح.

(3) متفق عليه: البخاري:5/ 2239، برقم (5667)، ومسلم:4/ 1809، برقم (2319).

وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر: من الآية 23]

وقال ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: من الآية 116]، وهو الغني مطلقًا عن كل ما سواه، المحتاج إليه كل ما عداه.

والله تعالى (مالِك). قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، [الفاتحة: 4]. ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: من الآية 26]، وقال -تعالىٰ-: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

والله هو ذو الملكوت، قال تعالىٰ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: من الآية 73] والملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت في الرهبة قال -تعالىٰ-: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55].

وكل تصاريف الملك تعني القوة، فالمالِك يتصرف في ملكه كما يشاء، والملِك له سلطان على رعيته، والله سبحانه وتعالى هو المالِك الحقيقي للأكوان، ولا يكون في كونه إلا ما أراد، وهو الملِك الحقيقي لها ولا يكون في مُلْكِهِ إلا ما شاء، والمليك فعيل فهو مالك من كل وجه، وهو المالك على الحقيقة.

وكل من نُسب إليه الملِك والمُلك إنما هو على سبيل المجاز.

والله هو الملك الذي يَسْتغني عن كل أحد من كل جهة، والناس لا تَسْتغني عنه سبحانه وتعالى، بل تحتاج إليه في وجودها، وفي استمرار ذلك الوجود، وفي أرزاقها وحياتها بل ومماتها، وفي كل شيء يحيط بها، ولسنا مُلاَّكًا على الحقيقة، إنما المِلك والمُلك هِبَة من الله عز وجل، يهبها من يشاء ومتى شاء وكيف يشاء، وينزعها كذلك.

فيستحي الإنسان إذا ما ذكر المَلِك الوهَّاب أن يُدْخِل في قلبه إلها آخر، ولا أن يعرف مالكا سواه، فتراه قويا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، وتراه يفعل كل أفعاله لله لا ينظر لأحد سواه.

القُدُّوس: أي المُنَزَّه عن سمات النقص والعيوب وموجبات الحدوث، أو مَنْ تقدست عن الحاجات ذاته، وتنزهت عن الآفات صفاته، أو من تقدس عن مكان يحويه وعن زمان يبليه.

مشتق من القُدْسِ، وهو الطهارة والنزاهة؛ ولذا يقال: «البيت المقدس». أي الذي يتطهر فيه من الذنوب.

وكان النبي ﷺ يحب أن يقول فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ »[1].

فربنا المنزه عن كل نقص وعما يخطر في بال.

وقد أمرنا تعالى بتحصيل الطهارة الظاهرة والباطنة، الظاهرة بأن نطهر أبداننا من الأنجاس والأحداث وثيابنا ومكان طهارتنا وصلاتنا، والباطنة أن نحسن الظن بالله تعالى ونحسن التوكل عليه وأن نرحم خلق الله جميعا.

وقيل لأمين الوحي جبريل: روح القدس؛ لطهارته من العيوب في تبليغ الوحي إلىٰ الرسل. وقال تعالىٰ حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: من الآية 30]. أي نطهر أنفسنا لك.

السَّلَام: أي ذو السلامة من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، أو الذي يُسَلِّم يوم القيامة علىٰ أوليائه، فَيَسْلَمُون من كل مخوف، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب: من الآية 44].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: الآية 23].

وإن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ

---

(1) مسلم (كتاب الصلاة ـ باب مَا يُقَالُ فِى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ) 353/1، رقم (487).

﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، وقد جعله الله عز وجل تحيته إلى عباده في الجنة حيث قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[2]، وقال: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]. وتحية الملائكة للمؤمنين في الجنة السلام قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[4]، وسَمَّى الجنَّةَ دَارَ السلامِ حيث قال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5] وقال: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[6]، وأهل الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بلغة غير لغة السلام قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[7]. وقد جعل سبحانه وتعالى الهداية إلى سبل السلام جزاء لمن اتبع هديه وأطاعه، قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[8].

---

(1) سورة الحشر: آية 23.

(2) سورة يس: آية 58.

(3) سورة يونس: آية 10.

(4) سورة الزمر: آية 73.

(5) سورة يونس: آية 25.

(6) سورة الأنعام: آية 127.

(7) سورة الواقعة: آية 25 – 26.

(8) سورة المائدة: آية 16.

وأمر المؤمنين أن يجعلوا السلام تحيتهم يلقيها بعضهم على بعض، وشعارهم في جميع مجالات الحياة في المسجد والمعهد والمصنع والمتجر، فالسلام شعارٌ يُلقيه المسلم على صاحبه كلما لقيه وكلما انصرف عنه. وجواب المؤمنين ردًّا على الجاهلين هو السلام: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ (1). والسلام يلقيه المسلم كل يوم خمس مرات على الأقل في خاتمة الصلوات المفروضة بقوله: السلام عليم ورحمة الله وبركاته. مرتين.

المُؤْمِن: أي المُصَدِّق نفسه وكتبه ورسله فيما بلغوه عنه، إما بالقول، وإما بخلق المعجزات، مأخوذ من الإيمان وهو التصديق، أو المُؤَمِّن عبادَه من المخاوف بخلق الطمأنينة في قلوبهم، أو بإخبارهم أن لا خوف عليهم، من الأمن ضد الخوف. قال تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: من الآية 23].

المُهَيْمِن: الرَّقِيب الحافظ لكل شيء، المُبَالِغ في المراقبة والحفظ، أو الشاهد علىٰ خَلْقِه بما يصدر منهم من أقوال وأعمال، فهو العَالِم الذي لا يَعْزُب عنه مثقال ذرة في الأكوان، وهو الرقيب عليهم لقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 46]

أو مَنِ اجتمع فيه العلم بجميع الأشياء والقدرة التامة علىٰ تحصيل جميع المصالح، والمواظبة علىٰ تحصيلها، ولن يجتمع ذلك علىٰ الكمال إلا لله تعالىٰ وحده، أو الذي يعلم السر والنجوىٰ ويسمع الشكر والشكوىٰ، ويدفع الضر والبلوىٰ، قال تعالى: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الحشر: من الآية 23].

العَزِيز: الغالب الذي لا يغلب فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، من العزة وهي القوة والشدة والغلبة ومنه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: من الآية 23] أي غلبني.

(2) سورة الفرقان: آية 63.

أو الذي لا مثيل له ولا نظير، أو الذي يستحيل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه قال -تعالىٰ-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: من الآية 10]، وقال -تعالىٰ-: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: من الآية 24]. وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: من الآية 96]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: من الآية 66].

الجَبَّار: الذي يَقْهَر عباده علىٰ كل ما يريد ويقسرهم عليه، أو المنيع الذي لا يُنَال. يقال للنخلة إذا طالت وقصرت الأيدي عن أن تنال أعلاها: نخلة جبارة. أو المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه إصلاحهم من جَبْرِ الكسر إذا أصلحه، والله تعالى مصلح لأمور الخلق كلهم، قال تعالى: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: من الآية 23].

المتكَبِّر: البالغ الكبرياء والعظمة، أو الذي تكبر عما يوجب نقصانًا أو حاجة، أو المتعالي عن صفات المخلوقات بذاته وصفاته العلية، أو الملك الذي لا يزول سلطانه، والعظيم الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريد، أو كل ذلك.

قال -تعالىٰ-: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:23]، ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: 37]. وهو تعالى الكبير الذي لا أكبر منه قال -تعالىٰ-: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: من الآية 12].

الخَالِق: المُقَدِّر للأشياء المكون لها علىٰ مقدار معين بقدرته وإرادته وعلمه وحكمته، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: من الآية 14].

قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:من الآية 54]

فالخلق هو التقدير المستقيم، وأما الأمر فهو ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:من الآية 117]

أو الخالِق هو المبدع للأشياء الموجد لها من غير أصل ولا احتذاء. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: 49] أي: أبدعناه وأوجدناه بقدر.

وقال: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [الواقعة: من الآية 60]

وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: من الآية 2]، أي: أبدعه وأوجده فقدّره بمقدارٍ معين.

وقال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: من الآية 3]، أي: مِنْ مُوجِد ومبدع غيره تعالىٰ يرزقكم ؟! كلا

وقال: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:من الآية 104] أي كما أبدعنا وأوجدنا الخلق أولا نعيده ثانيًا بقدرتنا.

قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: من الآية 16]. أي الموجد المبدع لكل شيء أو المقدر لكل شيء بعلمه وقدرته وإرادته وحكمته.

ونعتقد بأنه تعالى خالق العالم لا لجلب منفعة أو لدفع مضرة، وإنما لمحض الإحسان والإرادة.

الْبَارِئ: المُوجِد للأشياء متناسبة الأجزاء، مأخوذٌ من البَرْء،وأصله خُلُوص الشيء عن غيره، فهو أخص من الخالق، أو المقدر لها بمقاديرها بحكمته قال -تعالىٰ-: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة: من الآية 54]، أو معناه المميز للأشياء بعضها عن بعض بالأشكال المختلفة، أو كل ذلك كما قدّمنا.

المُصَوِّر: الذي صَوَّر جميع الموجودات ورتبها علىٰ اختلافها وكثرتها وتنوعها، فأعطىٰ كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها عن غيره، أو المبدع لصورها وكيفياتها كما أراد، قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾

[الأعراف: من الآية 11]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التغابن: من الآية 3]، فأعطاكم الصور الحسنة التي أرادها لكم.

فالله تعالىٰ يخلق الأشياء ويقدّر مقاديرها ويبرئها ويصورها علىٰ حسب الحكمة والمصلحة جل جلاله قال -تعالىٰ-: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: من الآية 24].

الغفَّار: الذي أسبل الستر على الذنوب في الدنيا وتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، من الغفر بمعنىٰ الستر لغة، ويطلق مجازًا على العفو والصفح.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:72]

قال تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾

[نوح: من الآية 10].

وقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [ص:66].

وهو تعالىٰ غافر وغفور. قال -تعالىٰ-: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: من الآية 3]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: من الآية 107]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [فاطر: من الآية 34]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: من الآية 53].

والغفور أبلغ من الغافر، والغفَّار أبلغ من الغفور؛ لأنه وُضِعَ للتكثير؛ ومعناه أنه يغفر الذنب أبدًا، والله ذو مغفرة قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: من الآية 6].

القهَّار: الذي طاحت عند صولته صولة المخلوقين، وبادت عند سطوته قوىٰ الخلائق أجمعين، أو الذي يقصم ظهور الجبابرة، فيقهرهم بالإذلال والإهانة والنكبات والإهلاك، من القَهْرِ وهو الغلبة، وصرف الشيء عما طُبع عليه بالقسر، أو كل ذلك.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:من الآية 47]، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: من الآية 65]، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: من الآية 39]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] والْقَهَّارُ مبالغة في القاهر، وهو تعالىٰ القاهر والغالب علىٰ أمره قال -تعالىٰ-: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 17]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:من الآية 21].

الوَهَّاب: جزيل العطاء والنوال، كثير المنِّ والإفضال، عظيم اللطف والإقبال يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد بحال، والوَهَّاب مبالغة في الوهب، من الهبة، وهي التمليك بغير عوض قال -تعالىٰ-: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: من الآية 7]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: 9].

الرَّزَّاق: المتولي خَلْق الأرزاق المتفضل بإيصالها إلىٰ العباد والمسبب لها الأسباب، قال -تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 57]، وهو مبالغة في حد الرازق قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: من الآية 11]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحج: من الآية 57]، يرزق من يشاء، قال -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ: من الآية 19]، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [فاطر: من الآية 3]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: من الآية 17]، ورزق الله تعالىٰ

لعباده رزقان: رزق الأبدان بالأطعمة والأكسية ونحوها، ورزق الأرواح بالعلوم والمعارف والإدراكات الصحيحة والإلهامات الصادقة، وهو أشرف الرِّزْقَيْن؛ فإن ثمرته حياة الأبد في سعادة، وثمرة رزق الظاهر قوة البدن إلىٰ مدة قريبة الأمد، وقد تكون في شقاوة.

الْفَتَّاح: الحاكم بين الخلائق، مبالغة في الفاتح من الفتح بمعنىٰ الحكم، والله -تعالىٰ- قد ميَّز الحق من الباطل، فأوضح الحق وبَيَّنَهُ، وقضىٰ به، ودحض الباطل وأظهره، وحكم ببطلانه، أو الذي يفتح خزائن الرحمة والخيرات والنصرة والظفر والمعارف علىٰ عباده ويُسهّل لهم ما كان صعبًا، ويُيسِّر ما كان عسيرًا من أمور الدنيا والدين.

قال -تعالىٰ-: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: من الآية 79]، ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2]، ﴿رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: 26].

الْعَلِيم: المحيط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية ولا تعزب عن علمه قاصية ولا دانية قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: من الآية 34]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الحجر: 76]، ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: من الآية 96]، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: من الآية 43].

وهو تعالىٰ عالم قال -تعالىٰ-: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: من الآية 73]، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: الآيات 26- 27]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: من الآية 37]، «وعلَّام» قال -تعالىٰ-: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: من الآية 109]،

وأَعْلَم بكل شيء، قال -تعالىٰ-: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾ [الإسراء: من الآيــة 54]، ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ [البقرة: من الآية 32]، ومُعَلِّم الخير، قــال -تعالىٰ-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: الآيات 1-2]، ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: 65].

ولم يرد في القرآن ولا في السنة في حق الله تعالىٰ تسميته «علاَّمة» صيغة مبالغة من العلم، ولا يجوز إجماعًا أن يقال له تعالىٰ: علّامة؛ لأنها تقال لمن ترقىٰ في العلم من القلة إلىٰ الكثرة والكمال في العلم بسبب التكلف والارتياض، والله تعالىٰ منزّه عن ذلك.

وعلمه -تعالىٰ- مخالف لعلم العباد؛ لأنه غير مُسْتَفَادٍ بآلات وحواس، وممتنع التغير والزوال ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: من الآية 64]، ومحيط بكل شيء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: 54].

الْقَابِضُ الْبَاسِطُ: مُضَيِّـقُ الـرزقِ علىٰ من شـاء، وموسِّعُـه علىٰ من أراد بحكمته، قـال - تعالىٰ-: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ أي يضيق [الرعد: من الآية 26]، ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ [الشورىٰ: 27] أي بتقدير محكم حكيم ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ: الآية 27]، ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: من الآية 245].

أو هو سالب الرزق تارة ومعطيه أخرىٰ، أو قابض الأرواح من الأشباح عند المهات وناشرها في الأجساد عند الحياة، أو يقبض السحاب ويبسطه في السماء قال -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾ قِطَعًا ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ المطر ﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾ [الروم: من الآية 47]،

أو قابض القلوب وباسطها في مداركها وعلومها ومعارفها حسب إرادته وحكمته، أو كل ذلك له تعالىٰ.

والأحسن الأليق في هذين الاسمين وما ماثلهما أن يُقْرَن أحدهما في الذكر بالآخر؛ ليكون ذلك أدل علىٰ القدرة والحكمة -كما قدمنا- فهو -تعالىٰ-: «القابض الباسط».

الخافِضُ الرَّافِعُ: الواضع من عصاه، والرافع من تولّاه حقًا وعدلًا، أو المضلّ والمرشد في الدين، أو مسقط الدرجات ومعليها في الدنيا.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: من الآية 253]، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: من الآية 73]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: من الآية 11]، ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة 1:3]، فالقيامة خافضة للكفار في أسفل الدركات رافعة للأبرار في أعلىٰ الدرجات.

وقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: 55]، ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]، ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]، فهو -تعالىٰ-: «الخافض الرافع».

المُعِزُّ المُذِلُّ: أعزَّ تعالى أولياءه فضلًا بعظمته ثم غفر لهم برحمته، ثم أحلَّهم دار كرامته وأذلَّ أعداءه، عدلًا بعصيانهم وارتكابهم مخالفته، ثم بوَّأهم دار عقوبته وأهانهم بطرده ولعنته. قال -تعالىٰ-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: من الآية 7].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ وهم اليهود ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: الآية 152].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: الآياتان 20-21].

وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، فالله تعالىٰ هو المعز والمذل لعباده بقدرته وحكمته فضلًا وعدلًا.

السَّمِيع البَصِير: المتَّصِفُ بالسمعِ والبصر لجميع الموجودات بدون حاسة أو آلة، فيعلم - تعالىٰ - جميع المبصرات والمسموعات تمام العلم، وتنكشف له وتتجلىٰ تمام الانكشاف والتجلي، ونسبة الانكشاف والتجلي الحاصل له تعالىٰ إلىٰ الانكشاف والتجلي الحاصل للعباد كنسبة ذاته العليّة إلىٰ ذواتهم، ووجوده تعالىٰ إلىٰ وجودهم.

نعتقد أنه يسمع أصوات الخلق من العرش إلى ما تحت الثرى، ويرى الصغير والكبير، فوق أطباق السموات العلى وتحت الأرضين السفلى.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: من الآية 27]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: من الآية 1]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: من الآية 13]، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: من الآية 71]، ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: من الآية 39].

الحَكَم: بِفَتْحَتَيْن، الحاكم الذي لا مَرَدَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، وقد وصف الله نفسه بأنّه أحكم الحاكمين فقال: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: من الآية 77]، ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: من الآية 109]، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: من الآية 114].

وحكم الله تعالىٰ بجميع الكليات والجزئيات حاصل من الأزل إلىٰ الأبد في كل شيء، ومقدِّر بأوقات مخصوصة وأحوال مخصوصة، لا يجوز علىٰ المتقدم أن يتأخر ولا علىٰ المتأخر أن يتقدم: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62].

الْعَدْل: العادل، أقيم المصدر مقام الفاعل، كالْبَرِّ أقيم مقام البارِّ، وحقيقته ذو العدل الذي لا يفعل إلا ما ينبغي له فعله وما يليق به سبحانه.

وهو تعالى خير الحاكمين وأعدل الحاكمين، والآمر بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء: من الآية 57].

اللَّطِيف: هو الذي لطفت أفعاله وحسنت، أو الذي لا تدركه الحواس، أو العليم بخفيات الأمور ودقائقها، أو الذي يعلم دقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها لمستحقيها سبيل الرفق دون العنف.

قال -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19]، وقال -تعالىٰ- على لسان يوسف؛ تبيانًا للطفه به ورفقه، بعد أن ألقاه إخوته في الجبّ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ بعد قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: من الآية 100] ا.هـ بتصرف.

ومنه قوله -تعالىٰ-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63]، وقال -تعالىٰ-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103].

الخَبِير: العليم ببواطن الأمور وخفياتها من الخبرة، وهي العلم بالخفايا الباطنة قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: من الآية 153]، أي ببواطن أموركم، ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورىٰ: من الآية 27]، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ [العاديات: 11]، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء: من الآية 17].

الحَلِيم: الذي لا يعجل بالانتقام مع غاية الاقتدار، أو الذي يعزم على عدم الانتقام ولا يظهر ذلك، فإن أظهره كان عفوًا، وسُمِّي عفوًا.

أو هو الذي لا يستخفه عصيان عاصٍ ولا يستفزه طغيان طاغ، قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: من الآية 44]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [الحج: من الآية 59]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: من الآية 51].

الْعَظِيم: الَّذي لا تصل العقول إلى كنه ذاته، ولا تحيط الأبصار بسرادقات عزته، أو الذي ليس لِكُنْه جلاله نهاية، ولا لعظمته بداية.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: من الآية 255]، ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74].

فالله -تعالىٰ- أعظم من كل عظيم في ذاته ووجوده وعلمه وقدرته وسلطانه وحكمته ونفاذ حكمه ﴿ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: من الآية 11].

الْغَفُور: كثير المغفرة والستر للذنوب، فلا يؤاخذ من شاء من عباده بها، من الغفر وهو السِّتْر.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ [الرعد: من الآية 6]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: 12]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [النجم: من الآية 32]، وقال -تعالىٰ-

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: من الآية 173]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: من الآية 99]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: من الآية 2]، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية 135].

الشكور: المُثْنِي على المُصْطَفِين من عباده، أو الذي يُعْطِي الثواب الجزيل على العمل القليل، فيقبل اليسير من الطاعات، ويعطي الكثير من الدرجات، والشكور مبالغة من الشاكر وهو من الشكر، وأصله الزيادة يقال: شكير الشجرة. لما نبت في أصلها من القضبان الصغار، وشكرت الأرض إذا كثر نباتها، وناقة شكيرة إذا كانت ممتلئة الضرع من اللبن.

وقال الراغب: الشكر من العباد ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصوّر النعمة وإدراكها، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر الجوارح، وهو مكافأة المنعم بقدر استحقاقه كما قال – تعالىٰ-: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: من الآية 13]، وأما في حقه – تعالىٰ- فمعناه إنعامه -تعالىٰ- على عباده الطائعين ومثوبته لهم على ما أدوا من العبادة والطاعة ا.هـ بتصرف[1].

وإذا شكر العبد ربه على نعمه زاده نعمًا وأفضل عليه، كما قال - تعالىٰ- ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: من الآية 7] وذلك من مزيد الفضل والعطاء. ولا شكور في الحقيقة إلا الله -تعالىٰ- الذي يعطيك مع استغنائه عنك وأنت منكره مع افتقارك إليه.

قال – تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: من الآية 23]، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: من الآية 34]، ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

[التغابن: من الآية 17].

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص: 265.

والله -تعالىٰ- شاكر، قال -تعالىٰ- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: من الآية 147].

وهذا الشكر فضل منه -تعالىٰ- ونعمة فهو يعطي عباده ويجزل العطاء مع استغنائه عنهم ويشكرهم على قيامهم بحقه وشكر نعمائه مع افتقارهم إليه قال -تعالىٰ- ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 145].

الْعَلِيُّ: البالغ الغاية في علو الرتبة إلى حيث لا رتبة إلّا وهي منحطة عنه، أو الذي علا بذاته وصفاته عن مدارك الخلق بالْكُنْه والحقيقة، مشتقٌ من العلو مقابل السفل، أو الذي تاهت الألباب في جلاله وعجزت عن وصف كماله.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: من الآية 62]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: من الآية 34]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: من الآية 255]، ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: من الآية 12]، ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: من الآية 51].

وفي (اللوامع) أن علوه -تعالىٰ- يرجع إلى أحد أمورٍ ثلاثة: إلى أنه لا يساويه شيء في الشرف والمجد والعزة، فيكون هذا الاسم من أسماء التنزيه، أو إلى أنه قادر على كل شيء والكل تحت قدرته وقهره، فيكون من أسماء الصفات المعنوية، أو أنه يتصرف في الكل بقدرته، فيكون من أسماء الأفعال. ا.هـ

وهو -تعالىٰ- الأعلى من كل شيء، قال -تعالىٰ-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: الآيات 1-5]، ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: 20].

الْكَبِير: الذي كبر وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله عن مشابهة مخلوقاته، أو الذي فاق مدح المادحين ووصف الواصفين، فهو أكمل الموجودات وأشرفها، أو ذو الكبرياء والعلو والعظمة والرفعة والتنزه عن أوهام الخلق ومداركهم فله -تعالىٰ- كبرياء الذات والصفات والأفعال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: من الآية 30]، ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: من الآية 12].

الْحَفِيظ: البالغ الغاية في الحفظ لما يريد حفظه، مبالغة في حافظ من الحفظ بمعنى ضد السهو. أو بمعنى الحراسة، فهو -تعالىٰ- حافظ السموات والأرض.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: من الآية 41]، ﴿يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: من الآية 255] لا يثقله ولا يشق عليه، وحافظ كتابه من التحريف والتبديل والتغيير قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وحفيظ على كل شيء قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: من الآية 57]، ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ من الآية 21]، وحفيظ على أعمال خلقه ومحصيها عليهم للحساب والجزاء قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: 6].

الْمُقِيت: المتكفل بأرزاق خلقه وإعطائهم أقواتهم، أو الحفيظ، أو خالق الأقوات، أو المقتدر من قولهم: قاته يقوته قوتًا. أطعمه قوته، وأوقته يقيته جعل له ما يقوته.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: من الآية 75].

وفي الحديث: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» أو «يقيت»(1).

---

(1) رواه الإمام أحمد: 11/ 36، برقم (6495)، ورواه أبو داود: 1/ 529، برقم (1692)، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقوله: (أو يقيت) أشار لها صاحب عون المعبود بقوله: (قال السندي: من يقوت من قاته أي أعطاه قوته، ويمكن أن يجعل من التفعيل وهو موافق لرواية من يقيت من أقات أي من تلزمه نفقته من أهله وعياله وعبيده) انظر: عون المعبود: 5/ 76.

الحسِيب: الكافي، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني، أي أعطاني ما كفاني حتى قلت له: حسبي. أي كافي.

ومنه قوله -تعالىٰ- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] قال ابن عباس: أي كافيك الله وكافيهم وكل كفاية إنما هي من الله -تعالىٰ-.

أو الحسيب بمعنى المحاسب كالنديم بمعنى المنادم، ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب قال -تعالىٰ-: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: من الآية 39]، أي محاسبًا لهم على أعمالهم وكافئًا لهم عليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: من الآية 76].

ومحاسبة الله -تعالىٰ- عباده يوم القيامة تذكيرهم بما عملوا في الدنيا من الحسنات والسيئات وتعريفهم جزاءها من المثوبات والعقوبات.

قال -تعالىٰ- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:من الآية 30]، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: من الآية 49].

الجلِيل: الكامل في ذاته وجميع صفاته، أو العظيم القدر الذي له الجلال والعظمة والكمال في ذاته وجميع صفاته، أو الذي يستحق أن يعترف بجلاله وكبريائه العاقلون ولا يجحدوا ألوهيته ولا يكفروا به.

ولم يذكر في القرآن هذا الاسم، وإنما وصف الله فيه نفسه بذي الجلال والإكرام، إما لخلقه الأشياء العظيمة التي يستدل بها عليه، أو لأنه يجلّ عن الإحاطة به ذاتًا وصفاتًا أو أنه يجلّ عن أن يدرك بالحواس.

ولا يستحق أن يوصف بهذا الوصف حقيقة غيره -تعالىٰ-، قال -تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 77].

الكَرِيم: هو الذي لا يضيع من توسّل إليه، ولا يترك من التجأ إليه، وإذا أضيف الكرم إلى الله -تعالى- فهو اسم لكمال إحسانه وإنعامه، يبتدئ بالنعمة من غير إيجاب، ويتبرع بالإحسان من غير سؤال، ويعفو عن السيئات؛ ويغفر الذنوب ويخفي العيوب، ويكافئ بالثواب الجزيل على العمل القليل، وقد جعل كل ما في الأرض لمنفعة عباده.

قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: من الآية 29]، وأعد للمتقين في الآخرة جنة عرضها كعرض السموات والأرض، وسخر للإنسان كل ما في السموات والأرضين فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: من الآية 13] وهو -تعالىٰ- أكرم الأكرمين، قال -تعالىٰ-: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 3] وهو الكريم المنعم المتفضل قال - تعالىٰ- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: الآيات 6-7-7]، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: من الآية 40].

الرَّقِيب: الحفيظ الذي لا يغفل، أو الحاضر الذي لا يغيب، أو العليم الذي لا يعزب عنه شيء من أحوال خلقه، يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ويعلم ما في البرّ والبحر، ويعلم ما في الصدور ويعلم أقوالهم وأحوالهم، وهو بكل شيء عليم.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: من الآية 1]، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: من الآية 117]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: من الآية 52]. والعبد إذا وصف بالرقيب فمعناه الموكل بحفظ الأشياء المترصد لها المحترز عن الغفلة عنها، يقال: رقبت الشيء أرقبه رقبة إذا راعيته وحفظته.

المُجِيب: الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، أو الذي يجيب المضطرين ولا تَخِيب لديه آمالُ الطالبين.

قال -تعالىٰ- ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: من الآية 176]، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: من الآية 61]، ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: من الآية 195]، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ﴾ [الأنبياء: من الآية 74]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: من الآية 62].

الْوَاسِع: الذي فضله شامل، ونواله كامل، أو المتسع علمه فلا يجهل، والمحيطة قدرته فلا يعجز، والغزير فضله فلا يبخل.

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة:255] أي وسع علمه أو ملكه الكائنات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:261]، وهو عبارة عن سعة علمه وقدرته وأفضاله ورحمته، قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ [الأنعام: 70] ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: 156]

الحكِيم: المصيب في التقدير والمحسن في التدبير، أو ذو الحكمة وهي كمال العلم وإحسان العمل، أو المنزّه عن فعل ما لا ينبغي له ولا يليق بجلاله وكماله.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: من الآية 27]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: من الآية 62].

والحكمة في حق الله -تعالىٰ- معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان والكمال، وفي حق العبد الإصابة في القول والعمل بقدر الطاقة البشرية قال -تعالىٰ-: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: من الآية 12]، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

ووصف الله القرآن بالحكيم فقال -تعالىٰ-: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: من الآية 1]، لتضمّنه الحكمة أو لكونه محكمًا، قال تعالىٰ-: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: من الآية 1].

الْوَدُودُ: المحبّ للطائعين من عباده، المتحبب إليهم بإنعامه وإحسانه، من الودِّ وهو الحبّ، ومحبة الله لعباده هي الإنعام عليهم والإحسان إليهم والرضا عنهم والثناء عليهم والعفو عنهم والغفران لذنوبهم، أو المتحبب إلى أوليائه بمعرفته، وإلى المذنبين بعفوه ورحمته، وإلى العامة برزقه وكفايته، أو المودود في قلوب أوليائه لكثرة وصول إنعامه وإحسانه إليهم قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: من الآية 90]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: 14].

المجِيد: البالغ الغاية في المجد الأعلى والشرف التام، أو الشريفة ذاته، الجميلة أفعاله الجزيل إنعامه ونواله، من المجد وهو الشرف التام الكامل، أو السعة. يقال: رجلٌ ماجد إذا كان سخيًّا مفضلًا كثير الخير.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: من الآية 73]، ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: 15]، وقد وصف الله كتابه بالمجيد بقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: من الآية 1] لكثرة ما تضمنه من العلوم والمكارم والمقاصد العليا والفوائد الدنيوية والأخروية وعلى هذا وصفه أيضًا بالكريم في قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77].

الْبَاعِث: باعث الرسل الكرام إلى الخلق، وباعث الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، وباعث الهمم إلى معالي الأمور، والباعث الذي يصفّي السرائر عن الهوى وينقّي الأعمال عن الدنس، مشتق من البعث وهو الإثارة والإنهاض، يقال: بعث بعيره فانبعث.

قال – تعالىٰ- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: من الآية 36]، ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12]، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: 60]. فالله هو الباعث جل جلاله.

الشَّهِيد: البالغ الغاية في علمه بالأمور الظاهرة المشاهدة، صيغة مبالغة في الشاهد كالعليم في العالم، وأما البالغ الغاية في العلم بالأمور الباطنية الغائبة فهو «الخبير»، أو الشهيد المبيِّن توحيده وعدله وصفات جلاله بنصب الدلائل ووضع البينات عليها، وقد فسّر بعضهم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: من الآية 17]، بنصبه الدلائل على توحيده، قال – تعالىٰ- ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: 7]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: من الآية 79]، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: من الآية 1]، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: من الآية 117].

الْحَقُّ: المتحقق الثابت وجوده أزلًا وأبدًا فلا يقبل الانتفاء بحال، أو الحقيق بالعبادة، والحقُّ يقال: لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة؛ ولذا قيل في الله – تعالىٰ- هو الحق، فقال -تعالىٰ-: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: من الآية 30]، وقال بعد ذلك: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا

﴿ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32]، وقال -تعالىٰ-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: 6]، أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم بأطوارهم المختلفة، وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من الحكم ودلائل القدرة والحكمة حاصل بسبب أن الله -تعالىٰ- هو الحق الثابت الوجود، وأنه يحيي الموتى ويبعثهم من القبور كما أحيا الأرض الميتة، وأنه قادر على كل شيء ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: 30]. أي ذلك الذي ذكر من عجائب القدرة والحكمة التي يعجز عنها الخلق جميعًا بسبب أنه -تعالىٰ- هو الحق الثابت الألوهية وأن ما دونه باطل وأنه -تعالىٰ- هو العلي الشأن الكبير السلطان.

الْوَكِيل: الموكول إليه أمور العباد ومصالحهم المتصرف فيها كما يشاء، وقد وكل العبادُ إلى الله -تعالىٰ- أمورَهم واعتمدوا على إحسانه لعجزهم عن تحصيل مهماتهم وقدرته - تعالى - عليها.

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: من الآية 71]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: من الآية 3] كافيه قال -تعالىٰ- ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: من الآية 173]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: من الآية 102]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: من الآية 57]

وقد قيل: الله الوكيل؛ ابتداك بكفايته، ثم تولاك بحسن رعايته، ثم ختم لك بجميل ولايته -سبحانه وتعالىٰ-.

الْقَوِيُّ: الكامل القدرة إلىٰ أقصىٰ الغايات فلا يعجز عن شيء بحال قال -تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: من الآية 25]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: من الآية 25]، ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: من الآية 165].

أي: لو يرىٰ أولئك الذين اتخذوا من دون الله أصنامًا يعظمونها إذ يرون في الآخرة العذاب الشديد أن القدرة لله وحده على كل شيء من الثواب والعقاب دون أصنامهم، ويعلمون شدة عذابه للجاحدين لكان منهم ما لا يدخل تحت الحصر من الندم والحسرة.

المتين: شديد القوة فلا يضعف بحال عما يريد، مشتق من المتانة، وهي شدة الشيء واستحكامه وصلابته، وهو مبالغة في معنى (القوي) قال -تعالىٰ- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:57].

الوَلِيُّ: المتولي أمور الخلق كلها، والمتكفل بها جميعها، أو الناصر، من الولاية بمعنى تولى الأمور أو النصرة، والولي والوالي.

قال -تعالىٰ- ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: من الآية 257]، أي متولي أمورهم أو ناصرهم، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: من الآية 107]، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: من الآية 51]، ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ أي ممن يلي أمرهم [الرعد: من الآية 11]، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: من الآية 44]، أي النصرة لله الحق وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه.

الحميد: الحامد لنفسه بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، أو المحمود بحمده لنفسه، أو بحمد عباده له قال -تعالىٰ- ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: من الآية 30]، والحمد هو الثناء، أو هو المستحق للحمد والثناء لجلال ذاته وعلو صفاته وعظم قدره قال -تعالىٰ- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: من الآية 267]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: من الآية 42]، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: من الآية 15]، ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: 24] ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: من الآية 73].

المُحْصِي: العالم بجميع الموجودات وعدد حركاتهم وسكناتهم وجميع شئونهم وأعمالهم، أو الذي يحصي الأعمال ويعدّها يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: من الآية 27]، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: من الآية 6]، ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: من الآية 49]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: من الآية 12]، أي في اللوح المحفوظ أصل الكتب كلها ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ: 29] فالله -تعالىٰ- هو المحصي لا غيره.

المُبْدِئُ المُعِيدُ: الخالق ابتداء والخالق انتهاء، فهما إشارة إلى النشأتين الأولى والأخرى. قال -تعالىٰ-: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: من الآية 29]، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: 13]، ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: 11].

فالله -تعالىٰ- المبدئ المعيد لا غيره.

المُحْيِي المُمِيت: يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها ويميتها بنزعها منها، قال - تعالىٰ-: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: من الآية 257]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: 43]، ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: 56]، ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: من الآية 27]. فالله -تعالىٰ- هو المحيي المميت لا غيره.

الْحَيُّ: المتصف بالحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية، فهو الباقي أزلًا وأبدًا قال -تعالىٰ- ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: من الآية 65]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: من الآية 57].

الْقَيُّومُ: عظيم القيام بتدبير خلقه، القائم على كل نفس بما كسبت، وهو صيغة مبالغة من القيام قال -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: من الآية 255]، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: من الآية 111]،

قال الراغب معنى «القيوم» في قوله -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ أنـه - تعالىٰ- القائم الحفيظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وهو كقوله - تعالىٰ-: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:من الآية 50] وقوله -تعالىٰ-: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: من الآية 33] اهـ.

وعن ابن عباس: إن أعظم أسماء الله -تعالىٰ- الحي القيوم[1].

وعَنْ عَلِيٍّ -كرَّمَ الله وجهه- قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَاتَلْتُ شَيْئًا مِنْ الْقِتَالِ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ، يَقُولُ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**» لاَ يَزِيدُ عَلَيْه، ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ يَقُولُ ذَلِكَ، فَلاَ أَزَالُ أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ وَأَنْظُره لا يَزِيدُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ أن فَتَحَ الله لَهُ[2] ا.هـ

---

(1) تفسير الرازي 7/ 4.

(2) أخرجه: النسائي في السنن الكبرىٰ: 6/ 157، والحاكم في المستدرك: 1/ 344، وقـال: حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وتعقبه الذهبي، و قال الهيثمـي 11/ 9: رواه البـزار وإسـناده حسن.

الْوَاجِدُ: لم يرد هذا الاسم في القرآن، لكنه مجمعٌ عليه، ومعناه الغني، مِنْ وَجَدَ وَجْدًا وَجِدَةً إذا استغنى، أو العالِم، مِنَ الوجدان بمعنى العلم. يقال: وجدت فلانا فقيهًا. أي: علمت كونه كذلك، أو الذي يجد كل ما يطلبه ويريده ولا يعوزه شيء من ذلك،

قال -تعالىٰ-: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: الآيات 7-7]، ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: من الآية 44]، فالله -تعالىٰ- هو الواجد.

الماجِد: المجيد من المجد وهو الشرف التام الكامل أو السعة كعالِم وعليم من العلم وقادر وقدير من القدرة، وتقدم تفسيرًا لمجيد، وأنه دال على كثرة الإحسان والإفضال. والماجد تأكيد لمعنى اسم الواجد، أي الغني المغني،ولم يرد هذا الاسم في القرآن ولكن مجمع عليه.

الوَاحِد: الذي لا ثاني له في الوجود، فهو المنفرد ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا بالألوهية والربوبية والأزلية والخلق والتدبير لا مشارك له في شيء من ذلك.

قال -تعالىٰ- ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: من الآية 171]، ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾ [الصافات: الآيات 4-5]، أي مطالع الشمس وكذلك رب المغارب.

وقد جاء في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] بمعنى واحد، وقد استأثر الله بهذا الوصف في الإثبات دون النفي، والواحد والأحد كالرحمن والرحيم.

الصَّمَد: المقصود في الحوائج على الدوام لعظم قدرته وكمالها، من صمد إليه إذا قصده، فهو -تعالىٰ- السّيد المصمود إليه، والمقصود في جميع الشئون.

وعن ابن مسعود: الصمد هو السيد الذي عظم سؤدده[1].

وهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب.

الْقَادِر الْمُقْتَدِر: ذو القدرة التامة الذي لا يَعْجِزُ عن شيء.

قال -تعالىٰ- ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: الآيات 7-9]، وقال: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية 17] أي بالماء الذي سلكناه في الأرض بقدرتنا. ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: 23]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: الآيات 3-4]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: الآيات 54-55]، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: 42]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: من الآية 45]،

والمقتدر أبلغ من القادر والله -تعالىٰ- قدير: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: من الآية 120]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: من الآية 44] ولم يعدّ في الأسماء التسعة والتسعين، ولكنه ورد في القرآن الكريم في عدة آيات[2]، وهو مبالغة من القادر كالعليم من العالم.

الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ: يقدم من يشاء ويؤخر من يشاء عن بابه وجنابه بقدرته وعلمه وحكمته، أو يقرب ويبعد، فمن قرّبه فقد قدّمه ومن أبعده فقد أخّره.

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير: 4/ 740.

(2) يعني قوله تعالى: ﴿...عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جزء آية من سور البقرة: 284، آل عمران: 29، 189، الأنفال: 41، الأنعام: 17، هود: 4، النحل: 77، الحج: 6، الطلاق: 12، والتحريم: 8، وغيرها.

قال -تعالىٰ- ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: من الآية 27]، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: 104]، فهو المقدم والمؤخر ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحجر: 24]، وهذان الاسمان لم يردا في القرآن، ولكنهما مجمعٌ عليهما.

الأَوَّلُ الآخِرُ: الأول القديم الأزلي قبل كل شيء بلا بداية، والآخر الباقي الأبدي بعد كل شيء بلا نهاية.

قال -تعالىٰ-: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: من الآية 3].

الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ: الظاهر بآياته ومصنوعاته، والباطن بكنه ذاته وصفاته قال -تعالىٰ- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الحديد: 3].

قال الراغب: الظاهر والباطن في صفات الله -تعالىٰ- لا يُقالان إلا مزدوجتين كالأول والآخر، والمحيي والمميت، والمعز والمذل، والخافض والرافع، فالظاهر إشارة إلى معرفتنا البديهية، فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه -تعالىٰ- موجود، والباطن إشارة إلى معرفته الحقيقية، وهي التي أشار إليها الصديق رضي الله عنه بقوله: «يا من غاية معرفته القصور عن معرفته». وعن علي رضي الله عنه: «تجلى الله لعباده من غير أن يروه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم، ومعرفة ذلك تحتاج إلى فهم ثابت وعقل وافر»[1].

الْوَالِي: المالك للأشياء المتولي لها المتصرف فيها بمشيئته وحكمته ينفذ فيها أمره، ويجري عليها حكمه، ولم يرد هذا الاسم في القرآن، لكنه مجمعٌ عليه، وإنما ورد (الولي) وتقدم تفسيره، وورد (المولى) بمعنى الناصر والمعين. قال تعالى:

---

(1) انظر: مفردات غريب القرآن، للراغب الأصبهاني، ص: 52.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: 11] وأصل الكلمة من الولي، وهو القرب المقتضي للنصرة والموالاة، والله -تعالىٰ- هو الولي الناصر، والوالي المالك والمتصرف، والمولى الناصر والمعين.

المُتَعَالِي: البالغ الغاية في العلو والارتفاع عن النقائص، قال – تعالىٰ -: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9]، أي المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي استعلى على كل شيء بكمالاته، فهو -تعالىٰ- العلي والمتعالي بعظمته.

الْبَرُّ: فاعل البر والإحسان، يحسن على عباده بالخير، أو البار وهو الذي لا يصدر عنه القبيح.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: من الآية 27]، أي المتوسع في فعل الخير لعباده بما قسم لهم من الصحة والمال والجاه والأولاد والأنصار، ومن الإيمان والطاعة والثواب للمؤمنين.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: من الآية 14]، ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: من الآية 32]، وجَمْعُهُ بَرَرَة، قال -تعالىٰ- في وصف الملائكة: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: 16]، وأما أبرار فهي جمع بار، وبر أبلغ من بار.

التَّوَّاب: الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات كثيرًا، قال -تعالىٰ-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورىٰ: 25]

وقال: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية 127]، ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: من الآية 160]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: من الآية 104].

وهو مبالغة في التائب من التوبة بمعنى العـودة والرجـوع، يقـال: تـاب. أي: رجـع، فمعنى كونه -تعالىٰ- توابًا كونه كثير العود بأصناف إحسانه على عباده، وذلك بأن يوفقهم بعد الخذلان ويعطيهم بعد الحرمان، ويخفف عنهم بعد التشديد، ويعفو عنهم بعد الوعيد، ويكشف عنهم أنواع البلاء، ويفيض عليهم أنواع الآلاء، فهو -تعالىٰ- ناسخ المكروه بالمحبوب وقابل التوبة من الذنوب وكاشف الضر عن المكروب.

ومعنى التوبة في حق العبد رجوعه إلى الندم والتأسف والتحسر، وإلى العبودية والطاعة والإنابة إلى الله وطلب العفو والغفران، قال -تعالىٰ-: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: من الآية 31]، ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 39- 40].

المُنْتَقِم: المعاقب للعصاة على مكروهات الأعمال والأقوال، من النقمة وهي العقوبة قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: من الآية 22]، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: من الآية 4]، ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف:من الآية 41]، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ [الروم: من الآية 47].

العَفُوُّ: ذو العفو، وهو ترك المؤاخذة على الذنب والتجافي عنه، أو هو إزالة الذنوب بالكلية ومحوها من ديوان الكرام الكاتبين، من العفو بمعنى الإزالة والمحو يقال: عفت الديار. إذا درست ذهبت آثارها، فالله -تعالىٰ- بعفوه يمحو الذنوب وآثارها، والعفو أبلغ من المغفرة، وهي مشتقة من الغفر بمعنى الستر، والمحو أبلغ من الستر.

قال -تعالىٰ- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: من الآية 60]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: من الآية 99].

الرَّؤُوفُ: ذو الرأفة وهي نهاية الرحمة، أو هو المتعطف على المذنبين بالتوبة، وعلى أوليائه بالعصمة قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: من الآية 207]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: من الآية 9]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: من الآية 10].

مَالِكُ الْمُلْكِ: هو القادر التَّام القدرة، الذي ينفذ مشيئته في ملكه ويجري حكمه على ما يشاء لا مردَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، والمُلك -بالضم- السلطان والقدرة أو المملكة قال -تعالىٰ-: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

قال الآلوسي: مالك المُلك -بضم ميم الملك- هو الملك الحقيقي المتصرف بما شاء كيف شاء إيجادًا وإعدامًا، إحياءً وإماتة، تعذيبًا وإثابةً من غير مشارك ولا ممانع، ومالك الملك في الآية منادى، وقوله: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26] استئناف لبيان وجوه التصرف الذي يستدعيه مالك الملك [(1)].

ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ: هو الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال في الذات والصفات والأفعال إلا له تعالىٰ، ولا كرامة ولا مكرمة إلا منه، قال -تعالىٰ-: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27].

الْمُقْسِطُ: العادل في حكمه من أَقْسَطَ إذا عدل في الحكم، وهو أن يعدل، قسط غيره ونصيبه. قال -تعالىٰ-: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:

---

(1) انظر: تفسير الآلوسي، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ 109/2.

من الآية 9]، والقسط النصيب، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ فمَن قَسَطَ فهو قَاسِطٌ إذا جَارَ أي الجائرون بكفرهم العادلون عن الحق ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: من الآية 15][1].

الْجَامِع: يجمع أجزاء الخلق بعد تفرقها عند الحشر والنشر للحساب والجزاء، أو يجمع الخلق في موقف القيامة ويجمع بين الظالم والمظلوم.

قال -تعالىٰ-: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 37] ثم نرد من نشاء إلى دار النعيم ونرد من نشاء إلى دار الجحيم.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: من الآية 77]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: من الآية 54]، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام: من الآية 12] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: من الآية 9]، أي يوم يغبن المؤمنين بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا، من الغبن، وهو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته.

الْغَنِيُّ: المستغني عن كل ما سواه، وكلهم محتاجون إليه، أو الذي وجب وجوده وافتقر سائر الكائنات إليه، قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: من الآية 26]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: من الآية 6].

(1) للتفريق بين الاشتقاق من أقسط، وقسط، فالاشتقاق من الأولى بمعنى العدل، والثانية بمعنى: الجور، وهي مادة واحدة.

المُغْني: يُغْنِي من يشاء غناه عما سواه، قال -تعالىٰ-: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: من الآية 32]، ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: 7]، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: 47]

المانِع: الذي يمنع من فضله من استحق المنع، ولا معطي لما منع، كما أنه لا مانع لما أعطى قال -تعالىٰ- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: 54].

ولم يَرِد هذا الاسم في القرآن، ولكنه مجمعٌ عليه.

الضَّارُّ النَّافِعُ: يغني هذا ويفقر ذاك، ويصح هذا ويمرض ذاك، ويعزّ هذا ويذلُّ ذاك، ويهدي هذا ويضل ذاك، ويدني هـذا ويبعد ذاك، لـه الحكم ولـه الأمـر سبحانـه، أو خالق الضر والنفع، وفي هذين الاسمين مزدوجين إشارة إلى كمال القدرة والإرادة والحكمة، فلا ضارّ ولا نافع إلا رب العالمين، قال -تعالىٰ-: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: من الآية 42]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 67]، ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: من الآية 23]، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: من الآية 102]، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: من الآية 75]، فالله -تعالىٰ- هو الضار والنافع، وعلمت أن الأدب اقترانهما في الذكر.

النُّورُ: الظاهر بنفسه المظهر لغيره، أو المظهر لكل ما أراد إخراجه إلى الوجود، وسمى الله نفسه نورًا من حيث إنه هو هذا النور، أو المنزّه عن كل عيب. يقال: امرأة نوار أي بريئة من الريبة بالفحشاء، أو المنور للأكوان.

قال -تعالىٰ- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: من الآية 35] ويطلق النور على الحق كما تطلق الظلمة على الباطل.

ويشير إليه قوله -تعالىٰ- ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: من الآية 257]، أي من أنواع الباطل إلى الحق، والمراد بالحق الذي فسر به النور في هذه الآية ما يقابل الباطل، وهو يتناول التوحيد والشرائع وما دل عليه دليل عقلي أو سمعي. وقيل: الهدى، وقيل: العلوم والمعارف التي يفيضها على قلب المؤمن، وقيل غير ذلك في معنى النور في هذه الآية وقد قال - تعالىٰ- ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: من الآية 69]، أي بعدله ونصبه موازين قسطه وحكمه بالحق بين عباده وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي بصيرة وهدى لا كمن أبى الإسلام فضيع على قلبه فقسا وضل ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: من الآية 22].

الْهَادِي: الذي يهدي القلوب إلى الحق وإلى ما فيه صلاحها دينا ودنيا قال - تعالىٰ-: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: من الآية 54]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: من الآية 3]، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10]، أي: طريقي الخير والشر، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: من الآية 77]، أي إلى دين الإسلام ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأنعام: من الآية 77].

الْبَدِيعُ: المبدع للأشياء بلا احتذاء ولا اقتداء، أو الذي لا مثيل له ولا نظير في ذاته وصفاته وأفعاله، أو الذي أظهر عجائب صنعته وأظهر غرائب حكمته.

قال -تعالىٰ-: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117]، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الأنعام: 101]

الْبَاقِي: الدائم الوجود بعد كل شيء بلا انتهاء، الذي لا يقبل الفناء هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء قال -تعالىٰ-: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: من الآية 73].

الْوَارِثُ: الباقي بعد فناء الخلق، فترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك، قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: 23]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: 40]، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: من الآية 57]، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: من الآية 10].

الرَّشِيدُ: الذي أرشد الخلق وهداهم إلى مصالحهم، أو الذي لا يوجد سهو في تدبيره ولا لهو في تقديره، أو الراشد وهو الذي له الرشد، وحاصله أنه حكيم في أفعاله، أو الذي أسعد من شاء بإسعاده وأشقى من شاء بإبعاده، قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: من الآية 10]، فهو -تعالىٰ- مُؤْتِي الرشد للراشدين من عباده وخالقه فيهم.

الصَّبُور: هذا الاسم والذي قبله غير واردين في القرآن، ولكنهما مجمعٌ عليهما، من الصبر وهو حبس النفس وتوطينها على المكاره، ويقرب معناه من معنى الحكيم، وهو الذي يؤخر العقوبة إلى الأجل المعلوم لحكمة، والصبور القادر على الصبر ولا أَقْدَر منه -تعالىٰ- عليه، وقد مدح الله الصبر والصابرين في كثير من الآيات:

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية 153]، ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ أي بمعونته وتوفيقه [النحل: الآيات 126- 127]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43].

أسماء وصفات لله عز وجل:

لله -تعالىٰ- صفات سنية، وأسماء علية، غير هذه الأسماء الحسنى التسعة والتسعين، وقد دل عليها الكتاب أو السنة أو الإجماع، ومنها:

1- وصف (الرَّبّ) أي المالك المتصرف في مخلوقاته بإرادته وقدرته المدبِّر لها بحكمته.

قال -تعالىٰ-: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:2] أي المالك المتصرف في جميع مخلوقاته، الدال ذلك على وجوده وقدرته وعلمه وإرادته وصنعته وحكمته ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 1]، ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 26]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: الآيات 76-77]، أي قل لهم: من له السموات السبع والعرش العظيم، فسيجيبون بقولهم: لله ربها. ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: 5]، أي والمغارب، ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، [النبأ: من الآية 37]، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92] فهو -تعالىٰ- رب كل شيء ومليكه بنص الكتاب المجيد.

ولا يقال لغيره -تعالىٰ- «رَبّ» بالإطلاق، بل بالإضافة نحو رب الدار، ورب المال.

2- وصف (الإِلَه) الدال على أنه -تعالىٰ- المفزَع للكائنات كلها في إيجادها ووجودها وتكوينها وجميع شئونها، مِنْ أَلِهَ الرجل إلى الرجل يَأْلَهُ إليه، إذا فزع إليه من أمر نزل به فآلَهَهُ، أي أَجَارَهُ وأمَّنه فيسمى إلهًا، كما يسمى الرجل إمامًا إذا أَمَّ الناس فأتمُّوا به، وكما يسمى الثوب رداءً إذا ارتدى به.

والله -تعالىٰ- إله العالمين لا إله غيره، فلا يطلق إله على غيره قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: من الآية 163]، ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: من الآية 171]، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية 62]، ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: الآيات 4-5]، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: 51]، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 76]، ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2]، فلا يطلق إله إلا على الله -تعالىٰ-.

3- وصف (الْقَدِيم) هو الموجود الذي لا أول لوجوده وليس ذلك إلا الله -تعالىٰ- وهو بمعنى (الأَوَّل) في أسمائه الحسنى.

4- وصف (الأَزَلِيّ) هو بمعنى القديم فيقال له -تعالىٰ-: قديم أزلي، ويقال في حقه -تعالىٰ- أيضًا: (أَبَدِيّ) أي لا آخر لوجوده وهو بمعنىٰ (الآخِر) في أسمائه الحسنى.

5- وصف (وَاجِبُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ) أي هو -تعالىٰ- الذي لا يقبل وجوده العدم بوجه من الوجوه، ويشعر به في الأسماء الحسنى (الْقَوِيّ الْمَتِين) و(الْقَيُّوم) لأن الذي لا يقبل الأثر من غيره يقال له قَوِيٌّ وقَيُّومٌ مبالغة في كونه مستقلا بذاته، وذلك هو كونه واجب الوجود لذاته، وليس ذلك إلا الله -تعالىٰ- وحده.

6- وصف (الدَّائِم) أي دائم الوجود أزلًا وأبدًا ولا دوام إلا لله -تعالىٰ.

7- وصف (الْمُحِيط) أي: المحيط علمًا بكل شيء، والمحصي عددًا لكل شيء، وليس ذلك إلا الله -تعالىٰ- وحده قال -تعالىٰ-: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: من الآية 12]، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: من الآية 27].

وفيه إشارة إلى أنه -تعالىٰ- قادر على كل شيء من الممكنات لا يغلبه غالب ولا يعجزه هارب ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 19].

8- وصف (الْقَرِيب) أي من خلقه بعلمه المحيط بهم وبقدرته التامة عليهم وبإجابته لدعائهم قال -تعالىٰ-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: من الآية 176]، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: من الآية 61]، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: من الآية 50].

9- وصف (المُدَبِّر) أي العالم بأدبار الأمور وعواقبها، أو الذي يصرِّف الأمور بحكمته وتدبيره على وفق مشيئته قال -تعالىٰ-: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: الآيات 5-6]، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس: من الآية 31]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: من الآية 2]، فالله -سبحانه تعالىٰ- هو المدبر للعالم كله لا شريك له في تدبيره.

ونعتقد أنه – تعالى – يدبر أمور الخلق من العرش إلى ما تحت الثرى، وهو منزه عن المشقة واللغوب والكلالة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: 37]

10- وصف (المُرِيد) للأشياء إيجادًا وإعدامًا وأحوالًا وشؤونًا، قال -تعالىٰ-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: من الآية 175]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النساء: من الآية 27]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 107]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: من الآية 107]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: من الآية 14]، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة: من الآية 41].

فهو الله -تعالىٰ- المريد للأشياء جميعها، لا يشاركه في إرادته ولا ينازعه فيها أحد من خلقه.

11- صفة (المشِيئَة) مِنْ شَاءَ بمعنى أراد فهو -تعالىٰ- يريد الأشياء ويشاؤها لا معقب له ولا ممانع. قال -تعالىٰ-: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: من الآية 40]، ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:من الآية 27].

12- وصف (المُخْتَار) أي الذي إليه الاختيار في أفعاله وهو الأعلم بما فيها من الحكمة، فيرجح ما يشاء على ما لا يشاء لعلمه بما فيه من الخيرة والمصلحة الراجحة، وليس لأحد من خلقه أن يختار عليه في شيء قال -تعالىٰ-: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ [القصص: من الآية 67]، ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: 32].

13- وصف (المحِبّ) أي مريد إيصال الخير من ثواب أو رضا أو ثناء أو عفو أو مغفرة لمن أحبهم ورضي عنهم وارتضى فعلهم من عباده، وأصل المحبة ميل النفس إلى الشيء ولاستحالة ذلك في حقه -تعالىٰ- يراد بها مثوبته أو رضاه أو ثناؤه أو إنعامه أو إحسانه أو مغفرته ففي قوله -تعالىٰ-: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، [آل عمران: 31] ومعنى محبته -تعالىٰ- لهم مثوبته ورضاه، أو إرادته -تعالىٰ- إيصال الخير أو المنافع لمن رضي عنهم من عباده المحبين له.

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة في محبة الله -تعالىٰ- لأناس من عباده بهذا المعنى قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: من الآية 9]، أي العادلين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 159]، المعتمدين عليه المفوضين أمورهم إليه.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:من الآية 107]، أي من الكفر والمعاصي والنجاسات.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 146]، أي على البلاء والشدائد.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 134]، أي في كل أمورهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 76]، أي الذين اتقوا غضبه وعقابه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: من الآية 222]، أي الذين داموا على التوبة إلى الله من ذنوبهم وسيئاتهم وطهروا أنفسهم من معاصيهم.

كما جاءت في القرآن الكريم آيات في كراهيته من ارتكب من عباده ما لا يرضاه وذمهم في الدنيا ومعاقبتهم في الآخرة، قال -تعالى-: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: من الآية 32].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:من الآية 40]، أي الذين يظلمون الناس ويظلمون أنفسهم بالمعاصي والسيئات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: من الآية 57].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: من الآية 23].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: من الآية 37].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: من الآية 77].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: من الآية 17].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: من الآية 76]، أي بكثرة المال بطرًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: من الآية 36].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: من الآية 141].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: من الآية 205].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: من الآية 276].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: من الآية 190].

فهؤلاء جميعا لا يحبهم الله -تعالىٰ- ويعاقبهم في الآخرة، ويحرمهم رضاه ومثوباته لسوء أعمالهم واجترائهم على معاصيه فيما يعملون ويتركون.

14- صفة **(الرِّضَا)** وهو إعطاء الخير والثواب والفضل، أو ذكر المدح والثناء لمن يشاء الله من عباده المؤمنين قال -تعالىٰ-: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:من الآية 17]، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: من الآية 3]، أي اخترته لكم دينًا تسعدون به دنيا وأخرى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: من الآية 7]، أي: وإن تشكروا الله فتؤمنوا يرضى الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب فوزكم بسعادة الدارين.

وضد الرضا والمحبة (الكراهة) وهي إيصال الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة إلى من عصاه وسلك غير سبيله قال -تعالىٰ-: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: من الآية 96]، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: من الآية 7]، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: الآيات 46- 47].

15- صفة (السَّخَط) وهو الغضب الشديد وينشأ عنه إرادة العقوبة من الله -تعالىٰ- لمن عصاه وضل عن سبيله قال -تعالىٰ-: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: من الآية 70]، أي سخط على الذين كفروا من بني إسرائيل، ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 162]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 27].

16- صفة (الْغَضَب) وهو إرادة إيصال العقوبة لمن يستحقها، قال -تعالىٰ-: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: من الآية 6]، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ [البقرة: من الآية 61]، ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: من الآية 90]، ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16]، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: من الآية 7]، والمغضوب عليهم هم اليهود، غَضِبَ الله عليهم ولعنهم.

17- صفة (المُوَالاة وَالمُعَادَاة) أي إرادة الكرامة وإرادة الإهانة لمن أراد من عباده، والله -تعالىٰ- هو وَلِيُّ المؤمنين وناصرهم وكافيهم، وعليه المتكل وإليه الملتجأ، ويحسن إلى الصالحين ويريد برهم وكرامتهم، وعدو الكافرين والفاسدين والفاسقين ومهينهم، قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 97]، ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾

[فصلت: الآيات 27- 27]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾.

[الممتحنة: من الآية 1].

وبالجملة لا يجوز وصفه -تعالى- بما نهى عن وصفه به، ولا بما يوهم نقصًا في حقه وينافي عظمته وجلاله؛ وإنما يوصف بما ورد وصفه به كتابًا أو سنة أو أجمع عليه المسلمون مما هو كمال في حقه ولائق بجلاله، وليس في الأمر خفاء.

الصفات الإلهية بين الإثبات والتنزيه:

فما ورد في القرآن أو السنة مما يشعر ظاهره بإثبات الجهة أو الجمسية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق على تأويله لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه.

فالمراد من قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

[النحل: 50]

المراد منه التعالي في العظمة، فالملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه في العظمة.

والمراد من قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]

المراد به الاستيلاد والملك.

ونسب للإمام الغزالي الأبيات:

قُـلْ لِمَنْ يَفْهَـمُ عنـي مـا أقـــولُ ... اتْـــركِ البَحْـــثَ فذا شــرحٌ يطــولْ
ثَـمَّ سِــرٌّ غــامضٌ مـــن دونِـــه ... ضُـرِبَتْ بالسيـــفِ أعناقُ الفحـــولْ
أنـــتَ لا تـــعـــرفُ إيـــاكَ ولا ... تدري مـــن أنتَ ولا كيفَ الوصولْ
لا ولا تـــدري صفـــاتٍ رُكِّبَـــتْ ... فـيكَ حارَتْ في خفـاياها العقـــولْ
أيـــنَ مـــنـــكَ الـروحُ في جـــوهرِها ... هل تـراها أو ترى كيفَ تـجـــولْ؟
وكـذا الأنـفــاس هـــل تحصـــرها ... لا ولا تـدري متـــى عنـــك تـزول
أيـن مــنـــك الـعـقـــل والـفـهـــم ... إذا غـلـب النوم فقل لـي يا جهـول

أنتَ أكلَ الخبزِ لا تعرفُه كيفَ يجري فيكَ أم كيفَ يحولْ
فإذا كانتْ طواياكَ التي بين جنبيْكَ بها أنت جهولْ
كيفَ تدري من على العرشِ استوى لا تقلْ كيفَ استوى كيفَ الوصولْ
كيف يحكي الرب أم كيف يُرى فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا كيفٌ ولا أينٌ لهُ هوَ ربُّ الكيفِ والتكيفُ يجولْ
وهو فوق الفوقِ لا فوقٌ له وهوَ في كلِّ النواحي لا يزولْ
جلَّ ذاتًا وصفاتٍ وعُلا وتعالى ربنا عما تقولْ

فالله عز وجل منزه عن الكيفية والكمية والأينية؛ لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان.

وأما المراد من قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]

أي وجاء عذاب ربك، أو وجاء أمر ربك الشامل للعذاب.

وتأويل قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]

فالمراد بوجهه أي ذاته.

وتأويل قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]

أن قدرته وقوته فوقهم ومحيطة بهم وأعظم من قدرتهم وقوتهم.

وأما عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17]

قالت المشبهة: لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا عديم الفائدة، ولا سيما وقد تأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة: 17]، والعرض إنما يكون لو كان الإله حاصلًا في العرش.

أجاب أهل التوحيد عنه بأنه لا يمكن أن يكون المراد منه أن الله جالس في العرش، وذلك لأن كل من كان حاملًا للعرش كان حاملًا لكل ما كان في العرش، فلو كان الإله في العرش للزم الملائكة أن يكونوا حاملين لله تعالى، وذلك محال. لأنه

يقتضي احتياج الله إليهم، وأن يكونوا أعظم قدرة من الله تعالى، وكل ذلك كفر صريح. فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل.

فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم، وذلك غير معقول؛ لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوق أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله[1].

وأما الحديث الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺقَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[2].

فتأويله يُنْزِلُ رَبُّنَا مَلَكًا فيقول ويبلغ عن الله. وليس مجيئه أو نزوله حركةً ولا زوالا من مكان وحلولا في مكان آخر؛ لأنه تعالى ليس جسما.

وحكي عن مالك أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال: فعل الملك كذا. أي أتباعه بأمره، لكن قال ابن عبد البر قال قوم: ينزل أمره ورحمته. وليس بشيء؛ لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب في الاستجابة ذلك الوقت.

وقال البيضاوي: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد دنو رحمته، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة[3].

---

(1) تفسير الرازي: 22/ 6.

(2) البخاري (كتاب التهجد ـ باب الدُّعَاءِ وَالصَّلاَةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ) 384/1، رقم (1094).

(3) شرح الزرقاني على موطأ مالك ص44.

ويعلق البيهقي على حديث روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذِهِ الَّتِي فَوْقَكُمْ؟.... «والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابقة لهبط على الله تبارك وتعالى».

قال البيهقي: وَالَّذِي رُوِيَ فِي آخِرِ هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى نَفْيِ الْمَكَانِ عَنِ الله تعالى، وَأَنَّ الْعَبْدَ أَيْنَمَا كَانَ فَهُوَ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنَ الله تعالى سَوَاءٌ، وَأَنَّهُ الظَّاهِرُ، فَيَصِحُّ إِدْرَاكُهُ بِالأَدِلَّةِ الْبَاطِنُ، فَلا يَصِحُّ إِدْرَاكُهُ بِالْكَوْنِ فِي مَكَانٍ[1].

فالله عز وجل يجل وينزه أن يحل في الحوادث، أو تَحِلَّ فيه الحوادث في ذاته أو في صفاته؛ لأن ما كان محلا للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدثا مثلها، ولهذا فإنه تعالى منزه عن أن يحل في الحوادث أو تحل هي فيه.

وتأويل الحديث الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺأنه قَالَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[2].

فإنه يوهم أن لله تعالى صورة، فالمراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة.

وتأويل الحديث الذي رواه عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[3].

أي بين صفتين من صفاته هما القدرة والإرادة.

وَيَكْفُرُ مَنْ وَصَفَ اللهَ تعالى بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، أَوْ سَخِرَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، أَوْ بِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِهِ، وَأَنْكَرَ وَعْدَهُ أَوْ وَعِيدَهُ، أَوْ جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا أَوْ زَوْجَةً، أَوْ نَسَبَهُ إِلَى الْجَهْلِ أَوْ الْعَجْزِ أَوْ النَّقْصِ.

---

(1) الأسماء والصفات للبيهقي 2/ 144.

(2) صحيح مسلم (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ) 2017/4، رقم (2612).

(3) صحيح مسلم (كتاب القدر ـ باب تَصْرِيفِ الله تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ) 2045/4، رقم (2654).

الفصل الثالث

فصل النبوات

النبي لغة: تخفيف من النبيء بالهمز، مأخوذ من النبأ وهو الخبر؛ لأنه مُخبِرٌ عن الله تعالى، وهو أيضا مُخبَرٌ؛ لأن جبريل يُخْبِرُهُ عن الله تعالى، وصيغة فَعِيل صالحة لاسم الفاعل واسم المفعول.

والنبي اصطلاحا: هو إنسان سليم عن منفّر طبعا أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أُمِر بتبليغه فهو رسول، فبينهما عموم وخصوص، فكل رسول نبي ولا عكس.

فالرسالة أشرف من النبوة لجمعها بين الحق والخلق، وخالف في ذلك العز بن عبد السلام فقال: إن النبوة أفضل؛ لأن فيها الانصراف من حضرة الخلق إلى الحق، ولكن الرسالة فيها انصراف من حضرة الحق إلى الخلق.

فالرسول هو من قال له الله تعالى: أرسلتك. أو: بلغهم عني.

والله أعلم حيث يجعل رسالته، فهو يختص برحمته من يشاء من عباده، ولا تعطى النبوة بطلب أو استعداد ومجاهدة، وإنما هي اصطفاء واجتباء.

فالنبوة لا يكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال، ولكنها خصيصة من الله تعالى، باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي، سواء أمر بتبليغه أم لا، فإن أمر بتبليغه فهو نبي رسول.

وإرسال الرسل إنما هو بإحسان الله ولطفه الخالص، وهو أمر جائز عقلا، ولا يجب عليه سبحانه وتعالى.

وذكر الله تعالى في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبيا مرسلا، فهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوتهم تفصيلا، ولا يجوز لمسلم أن يجهله أو يجهل كونه نبيا، وهم: **آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وأيوب، وذو الكفل، وموسى، وهارون، وسليمان، وداود، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد** عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وهنالك أنبياء آخرون لم يذكرهم القرآن تفصيلا، ولم يقص علينا شيئا من أخبارهم، ولكن أخبرنا عنهم في الجملة، فيجب الإيمان بهم أيضا في الجملة، أي نوقن بأن الله عز وجل أرسل رسلا وأنبياء كثيرين إلى كل أمة وجماعة، وفي مختلف الأمكنة والعصور.

ومن الجهل أن نتصور أن الله عز وجل خص منطقة الجزيرة العربية وما حولها بالرسل والأنبياء دون سائر الأرض.

قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

[النساء: 164-165]

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

[القصص: 59]

الصفات الضرورية للأنبياء:

أ - النبوة والرسالة لا تكون إلا في بني آدم، فلا تكون في الجن أو الملائكة.

ولا يَرُدُّ ذلك قولُهُ تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: 130]

لأن معناه ألم يأتكم رسل من بعضكم أي الإنس.

ورسل الله من بني آدم مرسلون إلى الثقلين الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: 29-30]

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: 1-2]

ولا يرده أيضا قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75]

لأن معناه أن الله يصطفى من الملائكة سفراء بينه وبين أنبيائه ليبلغوهم عن الله الشرائع. ولا يعنى أن الله يصطفى من الملائكة رسلا يبلغون عموم الناس رسالة الله.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8]

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 95]

ب ـ ويجب في حقهم الاتصاف بالأمانة والعصمة من الوقوع في الذنوب:

وهي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة وهو خلاف الأولى. فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر، ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك، فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب. وأما المحرم فلم يقع منهم إجمالا، وما أوهم المعصية فمؤول بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان.

ودليل وجوب الأمانة لهم أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، ولا يأمرنا تعالى بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى.

وأجمع أهل الملل والشرائع على عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله، وأما الصغائر عمدا فجوزه الجمهور إلا الجبائي، وأما الصغائر سهوا فهو جائز اتفاقا إلا الصغائر الخسية كسرقة حبة أو لقمة.

وأما قبل الوحي فقال الجمهور: لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة عليه، ولا حكم للعقل يمنعه.

فنزول الوحي يمنع الكبائر والإصرار على الصغائر.

ولو أذنبوا لَحَرُمَ اتباعهم، واتباعُهُم واجب للإجماع ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

ولو أذنبوا لوجب رد شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]

واللازم باطل بالإجماع. ولأن من لا تقبل شهادته في القليل من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته في الدين القيم إلى يوم القيامة.

ولو أذنبوا لوجب زجرهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيذاؤهم حرام إجماعا، ولقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

[الأحزاب: 57]

ولدخلوا تحت قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: 23]

وتحت قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]

ولو لم يتصفوا بالأمانة والصدق والعصمة لم يكونوا أهلا للاصطفاء والاجتباء ولم ينالوا عهده تعالى لقوله: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124] ولا عهد أعظم من النبوة.

فنعتقد أنه يجب في حق الأنبياء الصدق وهو مطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم، فإنهم لو جاز الكذب عليهم للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ به عني.

وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى.

ج – ونعتقد أن الأنبياء يجب اتصافهم بكمال العقل والضبط والعدالة:

حتى يتمكنوا من إلزام الخصوم بالحجة والبرهان وإبطال دعاويهم الباطلة.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83]

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: 32]

ومن لم يكن فطنا يكن مغفلا لا تمكنه إقامة حجة ولا مجادلة خصم.

د – وجوب تبليغهم لكل ما أُمِرُوا بتبليغه للخلق.

فإنهم لو كتموا شيئا مما أُمِرُوا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بهم، وهو باطل لأن كاتم العلم ملعونٌ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾

[البقرة: 159]

هـ - واختلف في وجوب كون الرسول ذكرا.

فاحتج من قال: لا نبوة في النساء. بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]

وأما عن إخبار الله عن أم موسى بأنه قد أوحى إليها حيث قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]

فإنه وحي كوني كالوحي إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا، وليس وحيا شرعيا.

وأجاز بعض العلماء أن تكون نبية كمريم، وأجابوا عن الآية السابقة بأنها تتحدث عن الرسالة لا النبوة.

واستدل بقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75]

والله تعالى قد أطلق صفة الصديقية على بعض الأنبياء فقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41]

وقال عن إدريس: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56]

ورُدَّ على ذلك بأن وصفه تعالى لإبراهيم وإدريس بالصديقية أُتبعَ بالنبوة، فهو مخالف لا مطابق.

واستدلوا أيضا بأن الله عز وجل في سورة مريم ذكر جملة من الأنبياء وذكر فيهم مريم قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾ ثم أتبع ذكرهم بقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم: 58]

فصح أنها نبية.

وهذا الاستدلال فيه مقالٌ، فإنه تعالى لم يصرح بكون مريم نبية، ولكن أتى ذكرها مقترنا بذكر عيسى عليه السلام.

ما يجوز على الأنبياء والرسل:

ويجوز في حق الرسل الاستمتاع بالحلال كالأكل والشرب وجماع النساء في الحل ـ أي لا يجامعهن صائمات صوما مشروعا ولا معتكفات ولا حائضات ولا نفساء ولا مُحْرِمَات ـ كما يجوز عليهم النوم والسهو في الأفعال الشرعية وغيرها، كالسهو في الصلاة للتشريع، دون السهو في الأخبار البلاغية كقولهم: الجنة أعدت للمتقين.

وكذلك النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية، وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر عن الله تعالى.

رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام:

ومع طوع الفجر في يوم الاثنين 12 ربيع أول عام 53 قبل الهجرة الموافق 22 إبريل عام 572 ميلادي. ولد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فرق الله به بين الحق والباطل، ووفَّى الله بوعده وعهده على نفسه، فأرسل خاتم رسله، فأظهر به كلامه، ويسر القرآن بلسانه، وبه ختم النبوة والرسالة وأتى بالعهد الأخير بين الله وبين البشر، وأرسله الله للناس كافة، وأرسله رحمة للعالمين، وجعله أكثر الناس تبعا إلى يوم الدين، أعلى الله له ذكره في العالمين، فكل يوم يُذْكر على المنائر بين المشرق والمغرب خمس مرات، وجعل شانئه هو الأبتر.

وأبقى الله - سبحانه وتعالى - عترته الكريمة بيننا وفينا إلى يوم الدين، وحفظ الله سبحانه وتعالى له كتابه عن التحريف سواء في الشكل أو المضمون.

أَجَلَّهُ الله عز وجل فخاطبه بما لم يخاطب به الأنبياء السابقين، ناداهم بأسمائهم فقال: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: 26]

وقال: ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَآ﴾ [هود: 76]

فلم يناد محمدا ﷺ باسمه مفردا، فقد رفع شأنه في العالمين فخاطبه بوظيفته عنده، بالرسالة والنبوة، فَبِهِ ﷺ كَمُلَت وفيه تمت، وإليه انتهت، فكان ظهوره عَلَمًا على جَمِيعِها، وآيةً على صدقها ومهيمنا عليها، فهو النبي، وهو الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ﴾ [المائدة: 41]

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]

وجمع تعالى له صفتين من صفاته عز وجل ولم يجعلهما لنبي قبله.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 128]

وجعله الله عز وجل يترقى في مراقي العبودية والفضل والشرف إلى يوم الدين إلى ما لا نهاية له في الشرف والمجد.

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: 1-4]

والنبي لا وزر له، أي لا إثم له، وإنما الوزر في الآية بمعنى السَّقْف الذي كان يمنعه من الترقي في الكمالات.

ومما رفع الله به ذكره أن جعل اسمه يتردد على المنابر إلى يوم الدين، وعلى المنائر في الأذان خمس مراتٍ في اليوم والليلة في كل أركان الأرض، وأصبح اسمه طبقًا للإحصاء العددي الأكثر تسميةً في الأرض، فتسمى به حتى عام 1990 سبعون مليون مولود من البشر[1]، وإذا ضُمَّ إلى ذلك (أحمد) و(محمود) و(حامد)

---

(1) أفادت صحيفة "دايلي تليغراف" الصادرة الخميس 21 من ديسمبر/ 2006، أن إسم محمد حلّ في المرتبة الثانية والعشرين على لائحة أكثر الأسماء الدارجة للأطفال الذكور في بريطانيا متقدما على اسم جورج الذي كان يتصدر لائحة السنة الماضية، =

و(مصطفى) وإذا ضُم إلى ذلك ما ارتئاه المسلمون اسمًا للنبي - ﷺ - فسموا أبناءهم به تبركًا به كـ(طه) و(ياسين) فإن اسم النبي - ﷺ - يفوق كل ما يتصوره البشر إلى يوم القيامة، وليس لاسمٍ من أسماء أحدٍ من البشر هذه الخاصية سواه.

ومما رفع الله به ذكره أن جعل الناس يتبعونه، فكانوا أكثر أهل الديانات عددا حتى بلغ المسلمون ربع سكان الأرض، ومما رفع الله به ذكره أن أبرز قبره، ولم يبرز قبر نبيٍ قط سوى قبر النبي المصطفى والحبيب المجتبى ﷺ، فكل قبور الأنبياء في الأرض محل شكٍ ونزاعٍ وتكرارٍ، بينما كل مؤمنٍ وكل كافر يعرف أن هذا الموضع الطيب الطاهر في المدينة المنورة تحت القبة الخضراء إنما هو للنبي المصطفى ﷺ، لا يختلف في ذلك مؤمن ولا كافر.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

فأبرز الله قبره، وحفظ له ذكره؛ حتى ننفذ ما أمرنا الله به، ونجد لأنفسنا مخرجًا من ذنوبنا، ويقول ﷺ: "حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ"[2].

= كما دخل لائحة الأسماء الخمسين الأكثر رواجا للمرة الأولى إلى جانب أسماء نوح وأوسكار ولوكاس وريس. وأضافت أن أرقام مكتب الإحصاء الوطني كشفت أن 4255 مولودًا ذكرًا حملوا اسم محمد هذا العام بالمقارنة مع 3386 مولودًا حملوا اسم جورج.

(1) سورة النساء آية / 64.

(2) أخرجه البزار في مسنده 1/ 307، رقم (1925). والهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 594، رقم (14250).

وقد أرسل الله عز وجل محمدا ﷺ بالتوحيد إلى الثقلين الإنس والجن دون الملائكة، فإنه لم يرسل إليهم إرسال تكليف بل أرسل إليهم إرسال تشريف؛ لأن طاعتهم جبلية لا يكلفون بها.

وبُعِث رسول الله على رأس الأربعين سنة إلى جميع المكلفين في شهر رمضان، بأن جاءه جبريل يقظة في غار حراء، ونزل عليه من القرآن قوله (اقرأ).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله - ﷺ - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِى النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْملَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ». قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾»[1].

طرق الوحي:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾

[سورة الشورى: آية 51]

الطريق الأول: الوحي المباشر. ومن صوره الرؤيا الصادقة

(1) متفق عليه: صحيح البخاري 4/1 رقم (3). صحيح مسلم 139/1، رقم (160).

وهو جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة كما قال سيدنا رسول الله ﷺ[1] فقد أوحى الله إلى نبيه محمد في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه في اليقظة بقية حياته، فنسبتها جزء من ستة وأربعين جزءًا لأنه عاش بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنة. وقال النووي، ولم يثبت أن زمن الرؤيا للنبي ﷺ كان ستة أشهر، والمراد وحي المنام المتتابع، وما وقع من الرؤيا في غضون وحي اليقظة فهو يسير. وقال القاضي عياض: ويحتمل أن تكون هذه التجزئة في طرق الوحي، إذ منه ما سمع من الله بلا واسطة ومنه ما جاء بواسطة الملك، ومنه ما ألقي في القلب من الإلهام، ومنه ما جاء به الملك وهو على صورته أو على صورة آدمي معروف أو غير معروف ومنه ما أتاه به في النوم ومنه ما أتاه في صلصلة الجرس ومنه ما يلقيه روح القدس في روعه إلى غير ذلك، فتكون تلك الحالات إذا عدت انتهت إلى العدد المذكور – أي ستة وأربعين[2]. فرؤيا الأنبياء وحي بخلاف غيرهم حيث إن الله حرسها من نزغات الشياطين.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ – رضي الله عنها – أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ – رضي الله عنه – سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ – وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ – فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[3].

(1) صحيح مسلم 1774/4، رقم (2263).

(2) ابن حجر: فتح الباري 366/12.

(3) البخاري (كتاب بدء الوحي – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله) 4/1 رقم (2).

والوحي ينزل مباشرة في صورة صلصلة الجرس: وهي صوت حاد يهز وجدانه، ويجعله في حالة كان الصحابة يرونها على رسول الله ﷺ يتفصد عرقًا ولو كان في اليوم البارد.

الطريق الثاني: إرسال الملك. قال ﷺ: «يتَمثَّلُ لي المَلَكُ أحيانا رجُلاً فيكلمني، فأعي ما يقول» كان يأتيه سيدنا جبريل عليه السلام في صورة رجل كان معروفًا عند الصحابة الكرام، هو دحية الكلبي، وكان دحية من سُرَاة الناس- أي أشرافهم ذوي المروءة - شديد الجمال في وجهه نظيفًا في ثوبه، واختاره رسول الله ﷺ ليكون من سفرائه إلى الملوك، فكان سفيره برسالته إلى قيصر الروم، وكانت الصحابة إذا رأت جبريل في صورة رجل رأته في صورة دِحية الكلبي[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ[2]. أي يجهد نفسه في تتبعه وتراوده خشية أن يتفلت منه أو ينساه.

فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ**﴾ قَالَ: جَمْعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ، وَتَقْرَأُهُ ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ**﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ**﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. فَكَانَ رَسُولُ الله - ﷺ - بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - كَمَا قَرَأَهُ[3].

الطريق الثالث: الكلام من وراء حجاب. وهو ما حدث لنبي الله موسى – عليه السلام – عند الشجرة وهو ما حدث لنبي الله محمد - ﷺ - في المعراج حينما فرض عليه الصلاة.

---

(1) راجع مثلًا البخاري 1330/3، رقم (3435).

(2) صحيح البخاري 2736/6، رقم (7086).

(3) صحيح البخاري 26/1، رقم (5).

ما فضل به النبي ﷺ على بقية الأنبياء

ولقد أُعْطِي سيدنا محمد - ﷺ - ما لم يعط نبيٌّ قبله، نؤمن بهذه العطايا يقينا.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[1].

فنؤمن كذلك أن محمدا - ﷺ - خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: 40]

وعن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[2].

والنبي محمد - ﷺ - هو أفضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة، في سائر خصال الخير وأوصاف الكمال.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عن رسول الله - ﷺ - قال: "قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ الله وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ الله وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُّ وَهُوَ كَذَلِكَ، **أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ الله وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الجنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُّ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ**»[3].

(1) صحيح البخاري 168/1، رقم (427). صحيح مسلم 370/1، رقم (521).

(2) صحيح البخاري 1273/3، رقم (3268). صحيح مسلم 1471/3، رقم (1842).

(3) الترمذي (كتاب المناقب ـ باب فِي فَضْلِ النَّبِيِّ ﷺ) 587/5، رقم (2616).

أي لا فخر أعظم من ذلك، أو ولا أقول ذلك فخرا بل تحدثا بالنعمة.

وأما ما ورد عنه ﷺ من النهي عن تفضيله على إخوانه من الأنبياء كقوله: «لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ». وقوله: «لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى»(1).

وقوله: «لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بنِ مَتَّى»(2).

فهو محمول على التفضيل الذي يؤدي إلى تنقيص غيره من الأنبياء، أو يكون نهيه عن ذلك تأدبا منه وتواضعا والمنهي عنه هو تعيين مفضول على التخصيص.

وخص - ﷺ - يونس بن متى بالذكر؛ لأن رسول الله محمدا ناجي ربه من فوق السموات السبع، بينما ناجاه يونس من قاع البحر ومن بطن الحوت، والله – تعالى - منزه عن الجهة والمكان ويستوي في حقه مِن فوق السموات ومِن قاع البحر.

فنعتقد أن أصل النبوة التي أكرم الله بها الأنبياء حقيقة واحدة لا تتفاوت ولا تختلف ما بين نبي وآخر، ولا يجوز التفريق بين نبوة نبي وآخر من هذه الناحية، وهو المقصود من قوله جل جلاله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: 285]

أما من حيث المنزلة فلا ريب أن أفضل الخلق على الإطلاق هو نبينا محمد - ﷺ - وهو مما أجمع عليه المسلمون قاطبة، وذلك لعموم بعثته إلى الناس كلهم.

وتبعا لذلك فإن أمة سيدنا محمد - ﷺ - هي خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]

---

(1) ذكره الطحاوي في شرح معاني الآثار 4/ 316.

(2) ذكره الزمخشري في الكشاف 454/1.

وعَنِ المغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(1).

ولا شك أن خيرية هذه الأمة تابعة لخيرية نبيها.

وسيدنا محمد - ﷺ - هو رسول رب العالمين إلى الناس كافة العرب والعجم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]

قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]

وجوب حب رسول الله - ﷺ -:

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾.. [الأحزاب: 6]

(1) صحيح البخاري 2667/6، رقم (6881)، صحيح مسلم 1524/3، رقم (1037).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»[1].

وعن عَبْدِ الله بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[2].

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[3].

فإن للإيمان حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها.

---

(1) البخاري (كتاب الإيمان ـ باب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ) 14/1، رقم (14).

(2) البخاري (كتاب الأيمان والنذور - باب كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ) 2445/6، رقم (6257).

(3) البخاري (كتاب الإيمان ـ باب حَلاَوَةِ الإِيمَانِ) 14/1، رقم (16).

فصل في أخلاق سيدنا محمد ﷺ وصفاته

بمولد الهادي المصطفى والحبيب المجتبى رسول رب العالمين إلى العالمين إلى يوم الدين ﷺ كان ميلاد خير أمة أخرجت للناس.

عَنْ أنس قَالَ: قال رسول الله - ﷺ -: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[1].

فبشَّرَنا رسول الله - ﷺ - بأن طائفة من أمته سيظلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة.

1 - كان رسول الله ﷺ قبل البعثة يدعى بمكة الصادق الأمين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: « يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ». لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: **نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا**[2].

2 - وأضاف إلى الصدق والأمانة **البركة**، فقد خرج ﷺ في التجارة مع عمه، فكان ذكيًا فطنا، فكان لا يخرج بمحض نقودٍ يشتري بها ثم يعود، بل إنه يأخذ تلك النقود بتقليب تجارةٍ وإدارةٍ حسنة يأخذها إلى الشام، وعندما يأخذها إلى الشام يبيعها فيربح، فكان من المعتاد أن يشتري ويعود لكنه كان يقلب المال هناك في دورةٍ أفقيةٍ أخرى، ويشتري ويبيع وهو في الشام، حتى إذا ما زاد المال وكثر اشترى سلعًا بعينها تكون أكثر نفعًا لذويه، ويكون أهل بلده أكثر انتفاعًا بها، فيعود فيربح بها أضعافًا كثيرة، ويزداد المال في يده من حسن ذكائه وفطنته وإدارته - بتوفيق الله له وعلو شأنه عنده- أضعافا كثيرة، لا يراها الناس مع أقرانه والمتدربين على هذا من ذويه وأهله،

(1) البخاري 2385/5، رقم (6139).

(2) البخاري 1787/4، رقم (4492). مسلم 193/1، رقم (208).

حتى لفت هذا الأمر انتباه السيدة خديجة عليها السلام، فطلبت أن يعمل لها في تجارتها ثم طلبت الزواج به.

3 - ولما نزل على رسول الله ﷺ الوحي في غار حراء فأسرع إلى زوجه خديجة فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَتْ خَدِيجَةُ: **كَلاَّ أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ المعْدُومَ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ**[1].

4 - فأما عن رجاحة عقله وفطنته صلى الله عليه وسلم:

يقول القاضي عياض: ومَنْ تَأَمَّلَ تدبيره ﷺ أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة الخاصة والعامة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب، لم يَمْتَرِ في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول وهلة.

ومما يتفرع عن العقل ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة، والتدبير، واقتفاء الفضائل، واجتناب الرذائل، وقد بلغ ﷺ من ذلك الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ﷺ.

ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين كالوحش الشارد، والطبع المتنافر المتباعد، كيف ساسهم؟ واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم: آباءهم، وأبناءهم. واختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحبابهم، من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب يتعلم منها سنن الماضين، فتحقق أنه ﷺ أعقل الناس، ولما كان عقله ﷺ أوسع العقول لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شيء[2].

---

(1) البخاري (كتاب التعبير ـ باب أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ) 4/1894، رقم (4670).

(2) سبل الهدى والرشاد 7/ 3.

وبحكمة رسول الله وفطنته نجت قبائل قريش من شر حرب مهلكة في الجاهلية، وذلك حينما اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ إنّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا، كُلّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ثُمّ بَنَوْهَا، حَتّى بَلَغَ الْبُنْيَانِ مَوْضِعَ الرّكْنِ فَاخْتَصَمُوا فِيهِ كُلّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْأُخْرَى، حَتّى تَحَاوَزُوا وَتَحَالَفُوا، وَأَعَدّوا لِلْقِتَالِ فَقَرّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا، ثُمّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ عَلَى الْمَوْتِ فَسُمّوا لَعَقَةَ الدّمِ. فَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، ثُمّ إنّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا.

قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اجعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا. فَكَانَ أَوّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمّدٌ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ ﷺ هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا: حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ(1).

5 – ووصف رسول الله ﷺ في القرآن ببعض صفته في التوراة والإنجيل.

فَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما سُئِلَ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِى التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِى الْقُرْآنِ: **يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِى سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِى الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا**(2).

---

(1) سيرة ابن هشام 197/1.

(2) البخاري (كتاب البيوع ـ باب كَرَاهِيَةِ السَّخَبِ فِى السُّوقِ).

6 - **وأما عن حسن خلقه ﷺ**: قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: 4] وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ الله ﷺ فِي أَهْلِهِ. قَالَتْ: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَلاَ صَخَّابًا بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ[1].

وأما عن رفقه ﷺ:

أ - وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[2].

ب - وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا** إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهَّ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ للهِّ عَزَّ وَجَلَّ[3].

جـ - وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله - ﷺ - بَيْنَ أَمْرَيْنِ قط **إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا**، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله - ﷺ - لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ للهَّ بِهَا[4].

د - وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ **فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ**

---

(1) ابن حبان في صحيحه 355/14، رقم (6443).

(2) مسلم (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب فَضْلِ الرِّفْقِ) 2003/4، رقم (2593)..

(3) مسلم (كتاب الفضائل ـ باب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ للهَّ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ) 1814/4، رقم (2328).

(4) البخاري 2269/5، رقم (5775).

وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي قَالَ «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»(1). كَهَرَنِي أي انْتَهَرَنِي.

هـ - وعَنْ أَنسٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «دَعُوهُ وَلاَ تُزْرِمُوهُ». قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ(2).

تزرموه: تقطعوا عليه بوله

و - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»(3).

ز - وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ: عَلَّمَنِى رَسُولُ الله ﷺ التَّشَهُّدَ كَفِّى بَيْنَ كَفَّيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِى السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ(4).

8 - وأما عن عفوه ﷺ:

أ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِى مَعَ رَسُولِ الله - ﷺ - وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ الله - ﷺ - قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِى عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله - ﷺ - ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ(5).

---

(1) مسلم (كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة) 1/ 381، رقم (537).

(2) مسلم (كتاب الطهارة - باب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ) 236/1، رقم (284).

(3) ابن ماجه (كتاب الطهارة وسننها - باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة) 1/ 114، رقم (313).

(4) مسلم (كتاب الصلاة - باب التشهد في الصلاة) 1/ 302، رقم (402).

(5) البخاري (كتاب الأدب - باب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ) 2188/5، رقم (5472).

ب - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ الله - ﷺ - حَقٌّ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ -: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً، اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ». فَقَالُوا: إِنَّا لاَ نَجِدُ إِلاَّ سِنًّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ سِنِّهِ. قَالَ: «فَاشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ؛ **فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**»[1].

جـ - وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله - رضي الله عنهما - أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِى الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ النَّبِىُّ - ﷺ - تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهْوَ لاَ يَشْعُرُ بِهِ. فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ -: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي». فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ؟ قُلْتُ: «الله». فَشَامَ السَّيْفَ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ، **ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ**[2].

د - وفي السيرة أَنَّ فَضَالَةَ بن عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوّح اللّيْثِيّ أَرَادَ قَتْل النّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمّا دَنَا مِنْهُ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَفَضَالَةُ؟" قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ الله ﷺ. قَالَ: "مَاذَا كُنْت تُحَدّثُ بِهِ نَفْسك؟" قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْت أَذْكُرُ الله. قَالَ: **فَضَحِكَ النّبِيّ ﷺ**. ثُمّ قَالَ: **"اسْتَغْفِرْ الله". ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ** فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: والله مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا مِنْ خَلْقِ الله شَيْءٌ أَحَبّ إلَيّ مِنْهُ. قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْت إلَى أَهْلِي فَمَرَرْت بِامْرَأَةٍ كُنْت أَتَحَدّثُ إلَيْهَا فَقَالَتْ: هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت: لَا، وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت لَا ... يَأْبَى عَلَيْك الله وَالْإِسْلَامُ

لَوْمَا رَأَيْتِ مُحَمّدًا وَقَبِيلَهُ ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسّرَ الْأَصْنَامُ

لَرَأَيْتِ دِينَ الله أَضْحَى بَيّنًا ... وَالشّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ[3]

---

(1) البخاري (كتاب الهبة ـ باب الْهِبَةِ الْمَقْبُوضَةِ) 2/920، رقم (2465).

(2) البخاري (كتاب الجهاد ـ باب تَفَرُّقِ النَّاسِ عَنِ الإِمَامِ عِنْدَ الْقَائِلَةِ، وَالِاسْتِظْلاَلِ بِالشَّجَرِ) 3/1066، رقم (2756).

(3) السيرة النبوية لابن هشام 2/ 417.

هـ - وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين، ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَي الْبَابِ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟» قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٍ رَحِيمٍ. وَقَالُوا ذَلِكَ ثَلاَثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: (لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)». قَالَ: **فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ**[1].

9 - وأما عن رحمته ﷺ:

أ - وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين. قال: **"إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً "**[2].

ب - وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو **الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ** عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا. فاستقبل القبلة، فرفع يده، **فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ** - أي بدعائه عليهم لو فعل -. قَالَ **«اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ جَمِيعًا»**. ثلاثا[3].

10 - وأما عن حيائه ﷺ:

أ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - **أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا**، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ[4].

ب - وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لاَ يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلاَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ[5].

---

(1) البيهقي في السنن الكبرى 9/ 118، رقم (18739).

(2) صحيح مسلم 2006/4، رقم (2599)

(3) البخاري (كتاب الجهاد - باب الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ) 2349/5، رقم (6034).

(4) البخاري (كتاب الأدب - باب مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالْعِتَابِ) 2263/5، رقم (5751).

(5) الترمذي (كتاب صفة القيامة - باب المصافحة) 654/4، رقم (2490).

جـ - وَعَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً جاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا - أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ. قَالَ: نَعَمْ. - قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي، فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا. قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ - ﷺ - مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ. قَالَ: إِنِّي والله مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ[1]. وفِيهَا حَاشِيَتُهَا أَيْ جَدِيدَةٌ لَمْ يُقْطَعْ شَيْءٌ مِنْ جَانِبَيْهَا.

11 - وأما تواضعه ﷺ:

أ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ الله ﷺ لِطَعَامٍ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «قُومُوا فَلأُصَلِّيَ لَكُمْ». قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله - ﷺ - وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ[2].

ب - وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ: "هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ"[3].

والْقَدِيدَ هو اللَّحْمَ الْمُمَلَّحَ الْمُجَفَّفَ فِي الشَّمْسِ

---

(1) البخاري (كتاب الجنائز ـ باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه) 2/ 78، رقم (1289).

(2) موطأ مالك (كتاب قصر الصلاة في السفر ـ باب جامع سبحة الضحى) 1/ 153، رقم (363)، البخاري (كتاب الصلاة ـ باب الصلاة على الحصير) 1/ 86، رقم (382).

(3) ابن ماجه (كتاب الأطعمة ـ باب القديد) 2/ 1101، رقم (3312). والحاكم في المستدرك (كتاب المغازي والسرايا) 3/ 50، رقم (4366) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

جـ - وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: « كُلْ - جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ - مُتَّكِئًا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَأَصْغَى بِرَأْسِهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: لاَ، بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ »(1).

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي طُوًى وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُعْتَجِرًا بِشُقَّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ حَمْرَاءَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضُعًا للهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ حَتَّى إِنَّ عُثْنُونَهُ لَيَكَادُ يَمَسّ وَاسِطَةَ الرَّحْلِ(2).

فهذا رسول الله ﷺ بعدما انتصر على القوم الذين طردوه وحاربوه وأهانوه وعذبوا أصحابه واعتدوا عليه وعليهم، يخشى الشعور بالانتقام أو الكبر أو التعالي. ويستشعر عظمة الله ورحمته عليه وأنه ناصره ومعزه.

12 - وأما عن شجاعته ﷺ:

أ- قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِى بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِى يُحَاذِى بِهِ. يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ(3).

ب - وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ حِينَمَا اشْتَدَّ الْوَطِيسُ فِي مَعْرَكَةِ حُنَيْنٍ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ نَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

« أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ. أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ. اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ ».

جـ - وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهْوَ يَقُولُ «لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا». وَهْوَ عَلَى

(1) أبو الشيخ: أخلاق النبي وآدابه 1/ 393، رقم (140). ويشهد له حديث أبي أمامة في المعجم الكبير 200/8، رقم (7812).

(2) السيرة النبوية لابن هشام 2/ 405.

(3) مسلم (كتاب الجهاد والسير ـ باب في غزوة حنين) 3/ 1398، رقم (1776).

فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ فَقَالَ: «لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا». أَوْ «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»[1].

لَنْ تُرَاعُوا أي لاَ فَزَعَ وَلاَ رَوْعَ، فَاسْكُنُوا وَاهْدَءُوا. وبَحْرًا وَصْفٌ لِجَرْيِ الْفَرَسِ كَجَرْيِ الْبَحْرِ.

13 - وأما عن محبته ﷺ:

أ - قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله رضي الله عنه: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ الله ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ ضَحِكَ[2].

ب - وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[3].

جـ - وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ»[4].

د - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ الله ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا. فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[5].

---

(1) البخاري (كتاب الأدب ـ باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل) 8/ 13، رقم (6102).

(2) البخاري (كتاب مناقب الأنصار ـ باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه) 5/ 39، رقم (3870).

(3) ابن ماجه (كتاب النكاح ـ باب حسن معاشرة النساء) 1/ 636، رقم (1977).

(4) الترمذي (كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه) 5/ 9، رقم (2612). قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَلاَ نَعْرِفُ لأَبِي قِلاَبَةَ سَمَاعًا مِنْ عَائِشَةَ.

(5) البخاري (كتاب الأدب ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) 8/ 7، رقم (6063).

هـ - وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاًّ وَهَدْيًا بِرَسُولِ الله فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ: وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا، فَإِذَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكِ؟ قَالَتْ: إِنِّي إِذًا لَبَذِرَةٌ، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ[(1)].

14 – وأما عن زهده في الدنيا ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131]

أ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"يا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ"**[(2)].

ب - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»[(3)].

---

(1) الترمذي (كتاب المناقب - باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ) 5/ 700، رقم (3872).
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عَائِشَةَ.

(2) مسند أبي يعلى 8/ 318، رقم (4920).

(3) مسلم (كتاب الزكاة - باب فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ) 2281/4، رقم (1055).

جـ - وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: « إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُّ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ الله - ﷺ - عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُّ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. فَكَانَ رَسُولُ الله - ﷺ - هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ[1].

د - وعَنْ عَبْدِ الله بن مَسْعُودٍ قَالَ: نَامَ رَسُولُ الله - ﷺ - عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[2].

هـ - وأما عن بساطة مسكنه وفرشه قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا: كَانَتْ ضِجْعَةُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ.

والضِجْعَةُ هي فِرَاشُ نَوْمِهِ.

وَعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ وِسَادَةُ رَسُولِ الله ﷺ الَّتِى يَنَامُ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ[3].

و - وأما عن بساطة مطعمه ومشربه قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ[4].

ز - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا أَشْبَعَ رَسُولُ الله ﷺ أَهْلَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا[5].

---

(1) البخاري (كتاب مناقب الأنصار - باب هِجْرَةُ النَّبِيِّ - ﷺ - وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) 1417/3، رقم (3691).

(2) الترمذي (كتاب الزهد - باب ما لي وما للدنيا) 588/4، رقم (2377).

(3) أبو داود (كتاب اللباس - باب في الفُرُش) 4/ 438، رقم (4143-4144).

(4) مسلم (كتاب الزهد والرقائق - باب حدثنا قتيبة بن سعيد) 4/ 2282، رقم (2972).

(5) مسلم (كتاب الزهد والرقائق - باب حدثنا قتيبة بن سعيد) 2282/4، رقم (2972).

حـ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ[1].

9 - وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدُمَ فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: "نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ[2].

10 - وفي حديث هند بن أبي هالة يصف شمائل النبي ﷺ قال: دَمِثٌ لَيْسَ بِالْجَافِي وَلاَ الْمُهِينِ، **يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ، لاَ يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا لاَ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلاَ يَمْدَحُهُ**»، وفي رواية غيره « **لَمْ يَكُنْ ذَوَّاقًا وَلاَ مِدْحَةً**، وَلاَ تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، وَإِذَا تُعُوطِيَ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَنْتَصِرُ لَهَا[3].

11 - وعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ [4].

---

(1) البخاري (كتاب الأطعمة - باب ما عاب النبي ﷺ طعاما) 7/ 74، رقم (5464).

(2) مسلم (كتاب الأشربة - باب فضيلة الخل وَالتَّأَدُّمِ به) 3/ 1622، رقم (2051).

(3) البيهقي: شعب الإيمان 3/ 29، رقم (1362). والترمذي في الشمائل المحمدية ص26.

(4) البخاري (كتاب الجهاد - باب مَا قِيلَ فِي دِرْعِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَالْقَمِيصِ فِي الْحَرْبِ) 1068/3، رقم (2759).

معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء

المعجزة هي فعل الله تعالى الخارق للعادة والتي يُعْجَزُ عن الإتيان بأمثالها، يجريها سبحانه على يد رسوله؛ ليثبت للناس صدق الرسول، وصدق رسالته.

والمعجزة تكون قولا أو فعلا أو تركا، فالأول كالقرآن، والثاني كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم.

والمعجزة تكون خارقة للعادة، فلا يصح أن يقول صاحبها: وآية صدقي طلوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب.

وربنا عز وجل يأمرنا أن نوالي أولياءه وألا نبارزهم بالإهانة والحرب، ومن بارز أولياء الله بالإهانة والحرب فإنه يكون مواليًا لأعداء الله، والله عز وجل أمرنا ألا نوالي أعداء الله، فعلينا إذن أن نمتثل لحب أهل الله، لأن حب أهل الله لا يكون إلا من حب الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »(1).

وأعلى الأولياء في هذه الأمة هو سيد الخلق محمد ﷺ، فهو خير ولي كما أنه خير نبي، وهو لنا مثل الوالد للولد، وهو ﷺ المقياس والمعيار الذي إذا أردنا لهذه الحياة الدنيا أن تسير على مراد الله لاتبعناه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

---

(1) البخاري (كتاب الرقاق - باب التَّوَاضُعِ) 2384/5، رقم (6137).

شرائط المعجزة:

1. أن تكون من فعل الله أو من يَقُومُ مقامه؛ لأن التصديق منه لا يحصل بما ليس من قِبَلِهِ.
2. وأن يكون خارقا للعادة إذ لا إعجاز دونه.
3. وأن يتعذر معارضته ومحاكاته؛ فإن ذلك حقيقة الإعجاز.
4. وأن تَظْهَرَ على يد مدعي النبوة؛ ليعلم أنه تصديق له، وإما أن يصرح بالتحدي، أو يكتفي بقرائن الأحوال. كأن يقال له: إن كنت نبيا فأظهر معجزا. فيفعل.
5. وأن يكون موافقا للدعوى، فلو قال: معجزتي أن أحيي ميتا. ففعل خارقا آخر، لم يدل على صدقه.
6. وألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبا له. فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضب. فنطق الضب فقال عليه: إنه كاذب. لم يعلم به صدقه، بل ازداد اعتقاد كذبه. نعم لو قال: معجزتي أن أحيي هذا الميت. فأحياه، فكذبه، ففيه احتمال. والصحيح أنه لا يخرج بذلك عن كونه معجزا؛ لأن المعجز إحياؤه. وهو بعد ذلك مختار في تصديقه وتكذيبه، ولم يتعلق به دعوى، وقيل: هذا إذا عاش زمانا. لكن لو كذبه ثم خر ميتا في الحال بطل الإعجاز؛ لأنه كأن أحيي للتكذيب. والحق أنه لا فرق لوجود الاختيار في الصورتين.
7. وأن لا يكون متقدما على الدعوى بل مقارنا لها؛ لأن التصديق قَبْلَ الدعوى لا يُعْقَلُ، فلو قال: معجزتي ما قد ظهر على يدي قَبْلُ. لم يدل على صدقه. ويطالب به بعد. فلو عجز كان كاذبا قطعا.

فكلام عيسى في المهد، وتساقط الرطب الجني عليه من النخلة اليابسة، وشق صدر رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وغسل قلبه، وإظلال الغمامة عليه، وتسليم الحجر والمدر عليه هي كرامات، وظهور مثلها على الأولياء جائز. فالأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء.

ومعجزة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام كانت هي كتابه الذي أرسل به وهو القرآن.

فالقرآن هو معجزة النبي الخاتم نبي آخر الزمان سيدنا محمد، وهي معجزة باقية وخالدة إلى آخر الزمان وإلى كل الأقوام، فكل نبي سبق انقضت معجزة بموته إلا سيدنا محمد فمازالت معجزته باقية محفوظة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]

ويتمثل إعجاز القرآن في بلاغته ونظمه، وإخباره عن الغيب، واشتماله على الحكمة البالغة، وإخباره عن الحقائق الكونية التي كشف المستقبل عن واقعيتها.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]

أرسل الله عز وجل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ وأنزل على قلبه الشريف القرآن، ووفقه بألا ينطق عن الهوى.

قال تعالى عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(1)

وقال عن معلمه جبريل: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾(2)

فالقرآن هو الوحي الفاصل بين المسلمين وغيرهم في عالمنا اليوم؛ والقرآن كتابٌ أراد الله عز وجل أن يصل إلى العباد حتى يهديهم إلى طريق الرشاد، فالقرآن كتاب هداية يرشد إلى الصراط المستقيم، يبين قضية التوحيد وكيف نوحِّد الله في سلوكنا وحياتنا، ويبين لنا مآل الدنيا وأنها إلى زوال، ويُنبهنا إلى الموت ويُنبهنا إلى الحياة الآخرة بعد ذلك، وإلى الحساب، وإلى العقاب والثواب والجنة والنار، وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وأنه يبشر المؤمنين.

(1) سورة النجم، آية : 3-4.

(2) سورة النجم، آية : 5.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1] ويبشرهم أيضا بأن لهم أجرًا حسنا، ويبشرهم بأن لهم مغفرةً من الله عز وجل وأجرًا عظيما.

وكتاب ربنا أنزله الله سبحانه وتعالى محكما كله.

قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: 1-2]

أُحْكِمَت آياته كلها، لكن منها ما أَنْزَلَهُ الله ابتداءً على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو أم الكتاب. ومنها ما هو متشابه مع ما أنزله الله من قبل في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، والقرآن كله محكم، سواء أكان من صنف أم الكتاب أم كان من صنف ما تشابه مع الآيات السابقة.

قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106]

أي ما ننسخ من آية سَبَقَتْ في التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو صحف إبراهيم أو ننسها إلا ونأت في القرآن الكريم بخير منها أو مشابه لها.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾

[الزمر: 23]

يعني أن محمدا - ﷺ - ليس بدعا من الرسل وليس كتابه القرآن بدعا من الكتب، بل إنه مُصَدِّقٌ لما بين يديه من الكُتُب ومهيمنٌ عليها.

---

(1) سورة الإسراء، آية: 9.

وهذا الكتاب المتشابه الذي يؤكد أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وأن القرآن هو الكلمة الأخيرة للعالمين، والذي يؤكد ما قد ورد في التوراة والإنجيل، والذي يؤكد أن هذه الأمة هي الأمة التي قد استوعبت الآخرين إلى يوم الدين.

وكل آيات الله هدى، وكل آيات الله نور، وكل كتاب الله قد أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾. [آل عمران: 7-9]

ما وقع لسيدنا محمد من معجزات مادية حسية كبقية الرسل:

1 – انشقاق القمر.

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [القمر: 1-2]

2 – تسليم الحجر عليه.

فحِينَ أَرَادَهُ اللهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنّبُوّةِ كَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتّى تَحَسّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إلَى شِعَابِ مَكّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلَا يَمُرّ رَسُولُ الله ﷺ بِحَجَرِ وَلَا شَجَرٍ إلّا قَالَ: السّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ الله(1).

(1) البيهقي: دلائل النبوة 154/2، ابن هشام: السيرة النبوية ص233، ابن سعد: الطبقات الكبرى 1/ 157.

3 – إخبار الشجرة له ليلة الجن.

ففي ليلة الجن التي خرج فيها النبي ﷺ مع عبد الله بن مسعود، فاجتمع نفر من الجن يستمعون القرآن ثم انصرفوا إلى قومهم منذرين، سُئِلَ ابن مسعود من أخبر رسول الله ﷺ بحضورهم، فقال: **آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ**[1].

4 – نبع الماء بين أصابعه الشريفة وتسبيح الطعام.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ». فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ الله». فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ[2].

5 – وأخبرت الذراع المطهية رسول الله تحذره من السم الذي دس فيها.

فَإِنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُولِ الله ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ الذِّرَاعَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ». وَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا فَقَالَ لَهَا: «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟». قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: «أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي». لِلذِّرَاعِ. قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟». قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ. فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ الله ﷺ[3].

---

(1) صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار ـ باب ذِكْرِ الْجِنِّ وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ 1401/3، رقم (3646).

(2) صحيح البخاري (كتاب المناقب ـ باب عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ) 1312/3، رقم (3386).

(3) أبو داود (كتاب الديات ـ باب فِيمَنْ سَقَى رَجُلاً سَمًّا أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَيُقَادُ مِنْهُ) 173/4، رقم (4510).

6 - رده عين قتادة حين سالت على خده.

وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فأرادوا قطعها فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: لا. فدعاه، فردها رسول الله ﷺ بيده، أي أخذها بيده الشريفة وردها إلى موضعها براحته الشريفة، وقال: "اللهم اكسه جمالا ". فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى[1].

التوسل بالنبي محمد ﷺ:

يجب على المسلم أن يعتقد عقيدة جازمة أن لا تأثير في الكون لأي شيء إلا لله عز وجل وأن كل ما يتراءى لنا من مظاهر الأسباب والعلل إنما هو أسباب وعلل جَعْلِيَّة جعلها الله عز وجل كذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

[يس: 82]

ولا ضير في استعمال ألفاظ تدل على سببية الأشياء لبعضها إذا سلمت العقيدة، مثل: لقد نفعني هذا الدواء. أو لقد شفاني هذا الطبيب. وأينع الزرع بكثرة الأمطار.

وتوسل المسلم بالأنبياء وتبركه بشيء من آثارهم وفضلاتهم مع الاعتقاد بأن المؤثر في ذلك إنما هو الله جل جلاله فلا ضير فيه؛ لأن تعبيره هذا جاء موافقا لظاهر ما أقيم الكون عليه من قانون السببية الجعلية.

ويسري هذا الكلام على التوسل والتبرك بالنبي محمد ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين سابقهم ولاحقهم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

فقد جعله الله سببا لرحمة العباد، وأي ضير في أن يتوسل المسلم بهذا الذي شَرَّفَه الله هذا التشريف فجعله رحمة للخلائق.

(1) دلائل النبوة للبيهقي 252/3.

أفتكون سببية الدواء للشفاء أكثر من سببية سيدنا محمد ﷺ للبركة والرحمة.

ولا فرق بين التوسل به حيا أو بعد وفاته، فليست حياته الجسدية وسيلة تأثير في المتوسلين والمتبركين به فلما توفي ذهبت وسيلة التأثير فأصبح التوسل به توسلا بما لا يملك أي تأثير.

الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلة من الله إلى الخلق

نؤمن بالكتب التي بُعِثَ بها الرسلُ إلى أقوامهم وجماعاتهم، نؤمن بها إجمالا لما لم يأت فيه تفصيل وذكر أسماء، ونؤمن بها تفصيلا لما ورد تفصيله كصحف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن.

والإيمان بها يقتضي الاعتقاد بأنها وحيٌ من الله عز وجل.

والواقع اليقيني يشهد بأن التبديل والتحريف قد شاع فيما سبق من كتب مع تطاول الزمن، ولم يبق إلا القرآن كتاب الله الذي تعهد سبحانه بحفظه.

قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]

والاعتقاد في عصمة القرآن وسلامته من التحريف أو التبديل أو التغيير أو الزيادة أو النقصان واجبٌ، والإيمان بكل ما أخبر به القرآن واجبٌ، وإنكار أي شيء منه كفرٌ.

فمثلا منكر الإسراء يكفرُ؛ لأن الإسراء ثبت بالقرآن، ومنكر المعراج يفسق ولا يكفر؛ لأن المعراج ثبت بخبر الواحد.

ونؤمن بأن الجانب التشريعي في الكتب السابقة على القرآن قد نسخ بشريعة النبي محمد ﷺ، فلا يُطَبَّقُ شيءٌ منه، ولا يعتمد حتى ولو لم يكن مما دخله التحريف والتبديل.

فشريعة الإسلام ناسخة لما قبلها من الشرائع، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.

كرامة الأولياء:

والولي هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، وهو المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي، فإن فعل معصية تاب ورجع.

وهو المعرض عن التكالب على الشهوات والملذات المباحة، وهو ولي لأن الله تولى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة؛ ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير عصيان.

والكرامة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، عَلِمَ بها أو لم يعلم.

وذهب جمهور أهل السنة إلى جواز الكرامة للأولياء ووقوعها لهم في الحياة وبعد الممات.

في قصة مريم قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37]

وفي قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 11-12]

فهي كرامات وليس شيء منها معجز؛ لفقده شرط التحدي ومقارنته للدعوى.

الاعتقاد في زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين وفي أهل بيته

نعتقد ونوقن بطهرهم وشرفهم وكرامتهم، والسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وأرضاها كانت أحب النساء إلى قلب رسول الله ﷺ وأبوها كان أحب الرجال إليه، وهي التي برأها الله عز وجل في كتابه في سورة النور مما اتهمها به المنافقون.

ومن لم يؤمن ببرائتها أو نسب إليها الفاحشة أو الضلال فهو مكذبٌ للقرآن وكافرٌ.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: 23 - 26]

قال عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضى الله عنه: إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ بَعَثَنِي عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَىُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ». فَعَدَّ رِجَالاً[1].

وصاية رسول الله ﷺ بأهل بيته:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ الله ﷺ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِىَ رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ.

(1) رواه البخاري (كتاب المغازي ـ باب غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلاَسِلِ) 1339/3، (3462).

ثُمَّ قَالَ: « وَأَهْلُ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللهَّ فِى أَهْلِ بَيْتِى، أُذَكِّرُكُمُ اللهَّ فِى أَهْلِ بَيْتِى، أُذَكِّرُكُمُ اللهَّ فِى أَهْلِ بَيْتِي »[1].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِىَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ، كِتَابُ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِى فِيهِمَا »[2].

وسيدنا محمد ﷺ هو النبي الوحيد وهو البشر الوحيد الذي بَقِيَ أهله إلى الآن، يعيشون بيننا ونعرفهم، حتى الذين انتقلوا وسبقونا إلى الآخرة نعرف مراقدهم الطاهرة، وقد تركوا لنا قدوة ومنهاجا رشيدا.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾

[الشورى: 23]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]

فحب الله وحب رسوله وحب أهل بيته من أركان الإيمان.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - «**أَحِبُّوا اللهَّ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ الله وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "كُلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ سَبَبِي ونَسَبِي"[4].

---

(1) رواه مسلم (كتاب فضائل الصحابة ـ باب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه) 1873/4، رقم (2408).

(2) الترمذي (كتاب المناقب ـ باب مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ) 663/5، رقم (3788).

(3) الترمذي (كتاب المناقب ـ باب مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ) 664/5، رقم (3789).

(4) الطبراني في المعجم الكبير رقم 11621.

فضل الصلاة على رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]

فتوجب الإكثار من الصلاة على النبي المصطفى والحبيب المجتبى، باللسان والجوارح والقلوب والعقول والأرواح والسلوك.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ »(1).

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: 65]

وسلموا أنفسكم إلى رسول الله ﷺ، وبيعوا أنفسكم لله فهو مالككم، واجعلوا رسول الله ﷺ قدوة لكم في كل عمل.

قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: 21]

الاعتقاد في أصحاب النبي ﷺ.

نعتقد بشرفهم وفضلهم على الأمة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]

---

(1) مسلم (كتاب الصلاة ـ باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ) 288/1، رقم (384).

فنؤمن بأن الله عز وجل رضي عن أهل بدر وأحد وبيعة الرضوان

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]

فالصحابة هم أعلام الدين، وهم مؤمنون جميعهم، بلغوا رسالة الإسلام ولم يكتموا شيئا من القرآن ولا من أحكام الشريعة.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: 29]

فلقد رزق الله النبي - ﷺ - بمجموعة من أصحابه، آمنوا بقلوبهم ووقروه وعظموه وعزروه ونصروه، وأظهروا إسلامهم في أعمالهم، وكانت هناك طائفة من المؤمنين ضَعِيفَة تفعل ما يخالف الأدب مع رسول الله ﷺ، وَجَّهَ لهم الله عز وجل العتاب والتأديب في كتابه فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ

أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾

[الحجرات: 1-3]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32]

عن عمر بن الخطاب وهو على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ"[(1)].

(1) رواه العقيلي في «الضعفاء» (351)، والديلمي (2/ 210).

الفصل الرابع

فصل السمعيات والغيبيات

السمعيات هي كل ما لا سبيل إلى معرفته والإيمان به إلا طريق الخبر اليقيني.

تركنا رسول الله - ﷺ - وقد ملأ الأرض نورا، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وتركنا وقد أقر لنا في أنفسنا الإيمان بالغيب والإيمان بالشهادة، والمؤمن لا يكون مؤمنًا ولا يكون الله في قلبه وعقله ونفسه ووجدانه، ولا يؤثِّر ذلك في فعله وسلوكه إلا إذا آمن بالغيب وآمن بالشهادة، ووصف الله نفسه بأنه عالم الغيب والشهادة.

أما الإيمان بالغيب فهو أول أركان التقوى، فإذا تَحَقَّقْتَ بها فأنت أهلٌ لتلقي أنوار الهداية من الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة: آية / 2-3]

يؤمنون بالله الحق، وملائكته وأنها حق، وكتبه ورسله وأنها من عند الله، واليوم الآخر وأنه آت لا ريب فيه، وبالقدر خيره وشرِّه، وأنه لا يكون في الكون إلا ما أراد الله. يؤمنون بذلك إيمانا تخالط بشاشته القلب، وتصديقا لا يعتريه شك ولا ريب.

والغيب نؤمن به ولا نراه بأبصارنا، ولا ندركه بعقولنا المجردة، فالمؤمن يشهد أنه حق، ويشهد بقلبه.

قال تعالى عن نفسه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [سورة السجدة، آية / 6-8]

والإنسان حين يسمع فيعي، ويبصر فيعتبر، حين يشهد بفؤاده فيرتقي شاكرا لله رب العالمين ساعيا في مراد الله ورضوانه فهذا هو الإنسان الذي كرَّمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا؛ فسجدت له ملائكة عرش الرحمن، وسخر الخالق له الأكوان.

هناك يقوم هذا الإنسان الضعيف في خَلْقِه القوي بربِّه يقوم بالحق؛ وإذا قام هذا الإنسان فإنه يؤسس البنيان، ويقيمه راسخا على تقوى من الله ورضوان، بَدْءًا من الكلمة وانتهاء بعمارة الأرض، فينفع الناس، ولا يُخْسِر الميزان، ويقيم الشهادة لله الحق على هدى من الله.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

[سورة البقرة: آية 1-5]

فالله تبارك وتعالى قد أنزل إلينا القرآن خاتمًا للكتب يرشدنا كيف نُقيم هذه الشهادة بالحق بعبادة الله وعمارة الدنيا وتزكية النفس، والتصديق بالغيب والشهادة.

والإيمان بالغيب هو المدخل إلى عبادة الله.

قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: آية 103]

فالإيمان بغيب الغيب برب العالمين يُخرج الشيطان من قلبك ومن نفسك ومن روحك ومن كيانك كله، وإذا غاب الله عن الوجدان دخل الشيطان.

والمدخل إلى ذلك تلخَّص في أمور ثلاثة: في الحب، وفي الرهبة، وفي المعرفة.

فكيف نجعل الإيمان بالغيب يُفجِّر المحبة في قلوبنا؟ فالحب هو الرحمة، رحمة العامة والخاصة، وآيته العطاء، والله تعالى يحب المؤمنين، والله يحب صنعته؛ وأرسل رسوله الخاتم محمدا رحمة للعالمين.

وأما الرهبة فإنها تملأ القلوب وتقشعر منها الأبدان، ولكنها لا تكون إلا لله، فيتحرر الإنسان. ونحن ندعو الناس إلى الحرية، وغيرنا يدعو الناس إلى التَّفَلّت، ونحن ندعو الناس إلى الحب وغيرنا يدعوهم إلى القسوة، وندعو الناس إلى الإيمان

بالغيب وغيرنا يَدَّعِي أن الغيب خرافة، وندعو الناس إلى أن يعيشوا في سنن الله التي خلقها في كتابه المنظور في هذا الكون، وأن يتدبروا كلامه المسطور في القرآن الذي أوحى به إلى النبي المصطفى والحبيب المجتبى - ﷺ - وغيرنا ممن أنكر الغيب والوحي ينكر الأخذ بكتاب الله إلا على أنه نص أدبي، ويعيش وقد ضيّق على نفسه الحياة الدنيا، وسعي فيها بالفساد، فاختلت حينئذ المعاني بيد البشر، ولا منقذ لهم إلا الإسلام.

وأما المعرفة فتبدأ بمعرفة النفس، وهي عينها معرفة الله، كما قال يحيى بن معاذ: من عرف نفسه فقد عرف ربه. فمن عرف نفسه بالافتقار والعجز والبداية والانتهاء والحدوث عرف ربه بأضدادها، بأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وبكل شيء محيط.

فمن عرف نفسه وعرف أنه مخلوق أدرك أن الله هو الخالق جل شأنه وعز في علاه، ومن عرف نفسه فإن نور الله يدخل قلبه، ومن دخل نور الله قلبه خرج الشيطان منه، ومن كان كذلك كان مأمونًا على البشر، مأمونًا على نفسه، مأمونًا على هذا الكون الذي خلقنا الله فيه خلفاء، لا يستطيع وهو يعلم أن مرده إلى الله أن يُفسد، ولو أفسد لا يستمر في الفساد؛ لأنه يضيق صدره فيتوب ويستغفر ويرجع عما قدمت يداه.

1 - الإنسان:

وهو مخلوق من حيث الجنس من عنصر التراب، ومتكاثر من حيث المصدر من الإنسان الأول آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]

والنفس الواحدة هي آدم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » (1)

والإنسان مخلوق منذ نشأته الأولى في أتم مظهر وأحسن تقويم، ولم يتطور خلال شيء من تاريخه تطورا نوعيا من فصيلة إلى أخرى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 6-8]

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

[السجدة: 7-9]

الإنسان هو أفضل المخلوقات وأشرفها.

(1) أبو داود (كتاب الأدب - باب فِي التَّفَاخُرِ بِالأَحْسَابِ) 331/4، رقم (5116).

ومذهب جمهور أهل السنة والجماعة أن خواص البشر من الأنبياء والصديقين أفضل من خواص الملائكة، وعوام البشر من صالحي المسلمين أفضل من عوام الملائكة.

ودليلهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7]

والبرية تشمل الملائكة.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ»[1].

واستدلوا أيضا بأن الإنسان حمل أمانة التكليف والاختيار التي أشفقت من حملها السموات والأرض. وقد ركب الله بالإنسان شهوات وأهواء لتمام الابتلاء والتكليف، فإن استطاع الإنسان مقاومتها والتغلب عليها فإنه يستحق بذلك تشريفا وأجرا لا يستأهله غيره من الكائنات والمخلوقات المجبولة على الطاعة مثل الملائكة، فإنها لم تتعرض للابتلاء بالشهوات والأهواء ولم تكلف الاختيار بل جبلت على الطاعة.

2 - الملائكة:

الملائكة أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة، شأنها الطاعة، ومسكنها السموات غالبا، ومنهم من يسكن الأرض، يُسَبِّحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة.

والملائكة عباد الله، وليسوا أولادا أو أندادا له سبحانه وتعالى.

---

(1) سنن أبي داود 317/3، رقم (3641).

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات: 149-152]

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 19]

والملائكة متقيدون بأوامر الله لهم، فلا يعصونه في أمر، ولا ينحرفون إلى ارتكاب منهي، وهم ملازمون لعبادته، ودأبهم ذكره والتسبيح بحمده.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 49-50]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

وقد خلق الله تعالى للملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع، كما أخبرنا تعالى في كتابه، وليس لنا علم بتفاصيل هذه الأجنحة أو كيفيتها، إذ الملائكة محجوبون عنا بإرادة الله وحكمه، ولم يُفصِّل القرآن الخبر عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1]

والملائكة مخلوقون من نور غير مرئي بالعين، ولكن الله جعل لهم القدرة على التشكل والظهور بمظهر الأجسام الكثيفة المختلفة.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: 17]

ولا يسع المؤمن بالله ورسوله إنكار شيء من هذه الصفات. ومن ينكرها يكفر باتفاق.

تفصيل القرآن لوظائف الملائكة:

1 - إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الحج: 75-76]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 192-194]

2 - حمل العرش

قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: 17]

3 - يقومون على شئون الجنة وتنعيم أهلها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: 73]

4 - يقومون على شئون النار وتعذيب أهلها.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: 27-30]

5 - مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم وإحصاؤها في كتاب مبين

قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: 18]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10-12]

6 - المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61]

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11]

7 - قبض الأرواح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 97]

قال تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11]

والجمهور على أن ملك الموت واحد، ولكن الله عز وجل عززه بطائفة أخرى من الملائكة.

وذكر سبحانه من أسماء الملائكة في القرآن: جبريل، ميكائيل، مالك.

3 - الجان:

لقد ثبت وجودهم بالدليل القطعي الذي لا احتمال فيه، وهو الخبر الصادق الذي جاء به القرآن بنصوص قاطعة لا احتمال فيها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾

[الأحقاف: 29]

والجن مخلوقون من نار.

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: 15]

والجن مكلفون باتباع الأنبياء والرسل وعبادة الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]

وهم مخلوقات مختارة منهم المؤمن ومنهم الكافر.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: 14]

وإبليس كان من الجن، ولكنه طرد من رحمة الله عز وجل بسبب عصيانه لأمر ربه بالسجود إلى آدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: 50]

وإبليس مُنْظَرٌ إلى يوم القيامة، ومَحْكُومٌ عليه بالعذاب الأليم هو ومن يتبع وسواسه من بني آدم يدخلون الجحيم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[الحجر: 36-43]

والجن يعيشون معنا على الأرض، وهم يَرَوْنَا ونحن لا نَرَاهُمْ.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: 36]

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27]

الإيمان بالعرش

وهو من أعظم المخلوقات، يحضره الله يوم القيامة تحمله ثمانية من الملائكة. لا نقطع أو نُعَيِّن بماهيته أو حقيقته لعدم العلم بها.

ونؤمن بالكرسي وهو من المخلوقات العظيمة، وكذلك لا نقطع أو نعين ماهيته أو حقيقته.

ولكن نقطع بأنهما ليسا بمكان للجلوس أو الاتكاء، وليس الرب في حاجة إليهما.

وليسا محلا للرب، فلم يخلق سبحانه وتعالى العرشَ للاتقاء، ولا الكرسيَ للجلوس، ولا القلمَ لاستحضار ما غاب عن علمه، ولم يخلق اللوحَ أو الملائكةَ الكتبةَ لضبط ما يخاف نسيانه.

الإيمان بالجنة والنار

ونؤمن بأنهما مخلوقتان.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 24]

وجاءت أُعِدَّتْ بلفظ الماضي. فهو صريح في وجودهما.

فالجنة والنار مخلوقتان الآن.

ونؤمن بالجنة دار الثواب والنعيم، ونؤمن بالنار دار العذاب والجحيم وقودها الناس والحجارة، أوجدهما الله تعالى وأعدهما، فهما موجدتان حقا، والجنة درجات في النعيم، والنار دركات في العذاب، كل مكلف فيهما حسب عمله.

والجنة والنار دار خلود، أي دار إقامة مؤبدة، فالجنة دار خلود للسعيد وهو من مات على الإسلام وإن تقدم منه كفر، ويدخل في السعيد عصاة المؤمنين فدار خلودهم الجنة ولا يخلدون في النار إن دخلوها.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: 35]

فنعيم الجنة دائم إذا فني منه شيء جيء ببدله.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88]

أي كل شيء في حد ذاته لضعف الوجود الإمكاني، فالتحق بالهالك المعدوم، أو نقول: إنهما أي الجنة والنار تعدمان آنا بتفريق الأجزاء دون إعدامها، ثم تعودان بجمعها، وذلك كاف في هلاكهما، فتكونان دائمتين ذاتا هالكتين صورة في آن.

والنار كذلك دار خلود للشقي، وهو من مات على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان، سواء كان كفره جهلا، أو مكابرة، أو بَالَغَ في النظر فلم يَصِل إلى الحق وتَرَكَ التقليدَ الواجبَ عليه.

وأطفال المشركين وأطفال المؤمنين على الصحيح أنهم في الجنة؛ لأنهم ماتوا قبل التكليف.

الإيمان بالحوض

وللنبي محمد ﷺ حوض يُعْطَاهُ في الآخرة، يَرِدُهُ المؤمنون من أمته، ومن شرب منه لا يظمأ أبدا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ

أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ»[1].

الإيمان بالساعة:

ولقيام الساعة علامات وأشراط تظهر في الدنيا، كخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة التي تَحْشُرُ الناس، وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدخان.

وهذه العلامات التي دل عليها الدليل القرآني القطعي من يكفر بها فهو مكذب بالقرآن وكافر. ويجب الإيمان بها على حقيقتها، فهي من السمعيات التي لا مدخل للعقل فيها ولا مجال لتأويلها.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: 96-97]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 82-83]

قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: 10]

قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158]

---

(1) صحيح مسلم (كتاب الطهارة ـ باب اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ) 217/1، رقم (247).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ [(1)]».

الإيمان بالموت:

الموت ضد الحياة، وهو فراغ الآجال المقدرة وانفصال الروح عن الجسد.

والموت يصيب كل نفس قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57]

ويقبض الأرواح ملك الموت الموكل بها عزرائيل ومعناه عبد الجبار، وله أعوان بعدد من يموت، يترفق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة دون غيره.

- وكلُّ ذي رُوحٍ يُفْعَلُ بِهِ ما يُزْهِقُ رُوحَه كالضرب بالسيف فهو مَيِّتٌ بانقِضَاءِ عمره.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]

فالمقتول قد استوفى أجله من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه، في الوقت الذي علم الله حصول موته فيه أزلا، وإنما وجب القصاص من قاتله نظرا لِكَسْبِهِ الفعل.

- وشهيد الحرب يحيى حياة كاملة بعد استشهاده، وإن كانت كيفيتها غير معلومة لنا، فالموتى جميعهم يحيون حياة برزخية لاتصال أرواحهم بأجسادهم على هيئة ما، ولكن حياة الشهداء أكمل، وحياة الأنبياء في قبورهم أكمل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]

(1) البخاري (كتاب التفسير ـ باب (لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا)، 4/697، رقم (4359).

وأجسام الأنبياء لا تأكلها الأرض، فهي لا تبلى اتفاقا، واختلف في غيرهم كالشهداء في المعركة والعلماء العاملين وحملة القرآن، فقيل: لا تأكل أجسادهم الأرض.

وشهيد الحرب هو من قاتل لإعلاء كلمة الله غير ناظر لعرض دنيوي، وأما من كان في حكم الشهيد كالمطعون والمبطون فحياته في القبر دون حياة شهيد الحرب، ولا تجرى عليه أحكام الشهداء في الدنيا، فإنه يُغَسَّلُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ.

الإيمان بالسؤال في القبر:

ورد سؤال الإنسان في قبره في السُّنَّةِ المتواترة.

فالروح تُرَدُّ في الجسد بهيئة مخصوصة لسؤالها في القبر وتنعيمها أو تعذيبها فيه، ويُرَدُّ للإنسان من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب، ويَتَأَتَّى معه رد الجواب حتى يسأل.

فيسأل الميت بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس منكرٌ ونكيرٌ، وهما ملكان، يسألانه ثلاث مرات. ويسألان كل أحد بلغته.

يسألانه عن الشهادتين، وعن توحيده الله، وعن إيمانه بمحمد ﷺ.

ويستثنى من السؤال الأنبياء فلا يسألون، وكذلك شهداء الجهاد في سبيل الله بأنفسهم، وكذلك الأطفال لعدم تكليفهم.

ثم يُسَلَّطُ على المنافقين والكافرين عذابٌ في القبر ويُضَيَّقُ عَلَيْهِ، ويُنَعَّمُ المؤمنون والصالحون في قبورهم ويوسع عليهم إلى يوم القيامة.

وليس عسيرا على الله جل جلاله أن يعكس الحياة مرة أخرى على ذرات الجسم سواء كانت مجتمعة في قبر أم موزعة في فلاة أم متفرقة في بطن سبع فيعي بذلك السؤال والجواب، ويرى المَلَكَ الذي يسأله، ويكلمه، وليس مطمع في أن تعلم كيفية ذلك تفصيلا، فحقائق ما بعد الموت متعلقة بنظام آخر مختلف كل الاختلاف عما قبل الموت.

وأما عذاب القبر ونعيمه فقد أشارت إليه بعض الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

[الأنعام: 93]

قال تعالى: ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾

[محمد: 27]

قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]

فلما عطف فيها قوله ويوم تقوم الساعة على غدوا وعشيا علمنا يقينا أن النار التي يعرضون عليها غدوا وعشيا غير التي يعرضون عليها يوم القيامة، ولا شك أنه واقع ما بين الموت والنشور.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِى كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

---

(1) البخاري (كتاب الجنائز ـ باب عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْغِيبَةِ وَالْبَوْلِ) 88/1، رقم (215).

(2) البخاري (كتاب الجنائز ـ باب الْمَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) 464/1، رقم (1313).

وأهل السنة والجماعة وجمهور المسلمين قالوا: إن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح والجسد معا، إذ هو من قبيل الممكن؛ ولأن ظاهر النصوص الواردة تقتضي ذلك، ولا حاجة إلى التأويل.

وكل ما جوزه العقل وورد به الشرع من أمور الغيب وجب الإيمان بثبوته بلا تأويل، كعذاب القبر ونعيمه، ورد الروح إلى الميت في قبره، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة.

الإيمان بالمعاد:

إن الوجود أمر واحد لا يختلف ابتداء وإعادة، وإعادة المعدوم جائزة.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 78-79]

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]

فيوم القيامة يَرُدُّ الله على الإنسان جسده الذي تحلل وبلي من خلية أو عظمة في جسده هي عجب الذنب لا يأكلها التراب.

الإيمان بالبعث والحشر والحساب

البعث هو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد إنشاء أجسامهم وتجميعها مرة أخرى كما أنشأها تعالى أول مرة.

وجمع الأجزاء على ما كانت عليه، وإعادة التأليف المخصوص فيها أمر ممكن وجائز، والله عالم بتلك الأجزاء قادر على جمعها وتأليفها، لعموم علمه وقدرته، وصحة القبول والفعل توجب الصحة قطعا. وأما الوقوع فلأن الصادق أخبر عنه في مواضع لا تحصى بعبارات لا تقبل التأويل حتى صار معلوما بالضرورة كونه من الدين.

وكل ما أخبر به الصادق فهو حق.

واخْتُلِفَ هل يَعْدِم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف، والحق أنه لم يثبت ذلك ولا جُزِمَ فيه نفيا ولا إثباتا لعدم الدليل.

وما يحتج به من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] ضعيف؛ لأن التفريق هلاك.

وهلاك كلِّ شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف الذي به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم منافعها، والتفريق كذلك.

ونؤمن **بالحشر** وهو سوق العباد جميعا إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه للحساب.

ويحشر مع الإنس الجنُّ والمَلَكُ، ويحشر معهم البهائمُ والوحوشُ، على ما ذهب إليه المحققون.

وكذلك يحشر السقطُ الذي نُفِخَ فيه الروحُ ثم يُعَادُ بروحه ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول.

وأول من تنشق عنه الأرض سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - وهو أول من يدخل الجنة.

الإيمان بالشفاعة:

وسيدنا محمد - ﷺ - هو الذي يشفع للخلائق بين يدي الله حتى يصرفون من المحشر إلى الحساب.

والإيمان بشفاعة النبي محمد واجب سمعا، وهي المقام المحمود أو الوسيلة أو الدعوة التي ادخرها سيدنا محمد لأمته، والشفاعة هي سؤاله ﷺ المولَى العفوَ لمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. وإن كان من أهل الكبائر يشفع له حتى يعفو عنه فلا يدخل النار، فإن دخلها يشفع له حتى يخرج منها ويُرَدُّ إلى الجنة.

وإن من الألفاظ العربية ألفاظا اختارها الشارع للدلالة على معان عظيمة لا تتحملها كاملةً الألفاظُ؛ لأن اللغات حدت بحدود.

ومن تلك المعاني ما سيتضح ويتجلى لنا في الآخرة، وذلك كالشفاعة والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، ومنها ما سيبقى غيبا محجوبا إدراكه عن عقولنا، وإن كنا سندرك في الآخرة قدرا مما غاب عنا إدراكه في الدنيا، وذلك كذات الله وصفاته وأفعاله، وقدرته وكمالها، وحكمته، وعدله، وقضائه، وجماله، وجلاله تبارك وتعالى.

ولطالما أوقع تشوف عقول البشر إلى إدراك تلك المعاني الغيبية في حَيْرَةٍ واضطراب، ونزاع وجدال، ونحن مطالبون شرعا بالإيمان بكمال هذه المعاني، وتنزيهها عن النقص والعيب قدر استطاعتنا، بتدبرنا ـ بغير تكلف ـ لما أخبرتنا به النصوصُ، وذلك لأنه لا حيلة لمعرفة الغيب أو فهم معانيه إلا بالنصوص الشرعية التي أشارت إليه.

والشفاعة التي نؤمن بها في الآخرة هي رحمة في عدل، متفقة مع العلم الإلهي والإرادة الإلهية، وليس للشافع فيها منةٌ على الله أو على الخلق، وإنما هو تشريف.

إنما الشفاعة عند الله دعاء بالخير يسأله الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحون بإذن ربهم أن يرحم المؤمنين ويعفو عنهم، وتتحقق الشفاعة في الآخرة بكيفية تتفق مع عدل الله وحكمته وعلمه المحيط، وليس فيها ظلم لأحد أو محاباة لآخر، وهذا ظن محال على الله القائل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية 47]

والشفاعة سابقة للحكم والفصل بين الخلق، وتكون سببا في التخفيف عنهم أو عن بعضهم، وليست تالية للحكم تُغَيِّرُهُ أو تبدله؛ لأنه ليس للشافع من الأمر شيء، إنما الأمر كله لله. فالشفاعة ليست معارضة لإرادة الله ولا مغيرة لحكمه، بل هي سبب من خلق الله، تَصِلُ به الرحمة إلى مستحقيها، وتَظْهَرُ بِهَا كرامةُ الشافع وتشريفه.

وللأنبياء يوم القيامة شفاعة، وللملائكة، وللأولياء، والشهداء، ولكن أول شافع وأول مشفع هو سيدنا رسول الله ﷺ، فهو أول من يَطْلُبِ الشفاعةَ، وأول من تُقْبَلُ شَفَاعَتُه.

وأما شفاعة غيره ﷺ لا تكون إلا بعد انتهاء المؤاخذة والعقاب على الذنوب والكبائر التي لم يعف الله عنها ابتداء.

وفائدة الشفاعة حينئذ تشريف الشافع وإظهار قدره ومكانته عند الله يوم القيامة، فهي من فضل الله في الآخرة ونعيمه لذوي الصلاح والتقى.

وغفران الذنوب التي دُونَ الكفر جائز عقلا وسمعا، فالشفاعة إذا ترجِّحُ كفة الغفران الممكن. وأما الشرك فهو ممتنع سمعا على الغفران قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]

ولذلك فإننا أهل السنة والجماعة لا نُكَفِّرُ في الدنيا مؤمنا بالذنب، ولا نَحْكُمُ بخلوده في الجحيم صَغُرَ الذنبُ أو كَبُرَ. بل الصواب تفويض أمره لله إن لم يَتُبْ، فلا نقطع بالعفو عنه، ولكن نقطع له بعدم الخلود في النار؛ لأن المؤمنين يدخلون الجنة لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7] ولا شك أن إيمانه بالله خير. فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة.

ويجب الاعتقاد في تعذيب الله بعضَ مَنِ ارتكبَ كبيرةً من غير تأويل يُعْذَرُ به ومات بلا توبة. وهذا البعضُ مِمَّنْ لم تتعلق مشيئة الله بالعفو عنهم لأمرٍ عَلِمَهُ فيهم.

والحساب هو توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا، بعد أخذهم كتبهم التي دونت فيها حسناتهم وسيئاتهم، ويكون الحساب للمؤمن والكافر، إنسا وجنا، إلا مَنْ قضى الله أن يدخلون الجنة بغير حساب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ: « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[1].

(1) البخاري (كتاب الرقاق ـ باب (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ فَهُوَ حَسْبُهُ) 2375/5، رقم (6107).

ويحاسب ربنا تبارك وتعالى عباده بالفضل والجود والإحسان فيضاعف الحسنات لأهلها بفضله وجوده لا وجوبا عليه. ثم يجازي اللهُ السيئةَ بمثلها، وله تعالى أن يعفو ما لم يكن كفرا، فمن لم يعفو الله تعالى عنه خلد في النار.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قال: «إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ الله عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ الله عَنْهَا»[1].

وعن أبي ذَرٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: « الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُ، وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[2].

والحسنة هي ما يُمدح فاعله شرعا، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة.

والسيئة هي ما يُذَمُّ فاعله شرعا، صغيرة كانت أو كبيرة، عملها العبد حقيقة، أو حكما كأن تكون طُرِحَتْ عليه لظُلامته الغير، فإنه يُؤْخَذُ من حسنات الظالم ويُعْطَى للمظلوم. فإذا نفذت حسنات الظالم طُرِح عليه من سيئات المظلوم، ثم قذف بالظالم في النار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ»[3].

---

(1) البخاري (كتاب الإيمان ـ باب حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ) 24/1، رقم (41).

(2) مسند أحمد 148/5، رقم (21353).

(3) مسلم (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ) 1997/4، رقم (2581).

ونؤمن بأن للذنوب والسيئات مكفرات، كالتوبة الصادقة، والحج المبرور، والجهاد في سبيل الله. والصلوات الخمس كذلك كفارات للذنوب، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، إذا اجتنبت الكبائر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[1].

والكبائر هي الذنوب العظيمة التي غَلَّظَ الله تعالى في توعد فاعلها، كالزنا والقتل والسحر وأكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وشهادة الزور.

وحسنات الإنسان وسيئاته تدون في كتاب يأخذه الإنسان في الحشر، فمن أخذه بيمينه فهو من أهل النعيم، ومن أخذه بشماله فهو من أهل العذاب.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: 7-12]

ويوزن للإنسان المؤمن والكافر عمله من السيئات والحسنات يوم القيامة، فمن خفت موازينه أي موازين حسناته فهو من الخاسرين، ومن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8-9]

(1) مسلم (كتاب الطهارة ـ باب الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ) 209/1، رقم (233).

وأما قوله تعالى عن الكافرين: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾

[الكهف: 105]

فهو يعني أن الله - عز وجل - لا يقيم للكافرين أي قيمة أو مكانة أو اعتبارا، أي أنهم في المهانة يوضعون ويؤخرون.

ويستثنى من الميزان الأنبياء ومَنْ كَتَبَ الله لهم أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

الإيمان بالصراط

وهو جسر ممدود على متن جهنم، يمر عليه العباد أولهم وآخرهم مؤمنهم وكافرهم، وحتى النبيون والصديقون ومن يدخل الجنة بغير حساب. وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، فمن كان من أهل السعادة سلكه ونجا، ومن كان من أهل الشقاوة سقط من فوقه في جهنم.

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: النبوات

الفصل الرابع: السمعيات والغيبيات

عقيدة التوحيد الخالص

إن المجتمعات الإنسانية، ومن ضمنها الإسلامية، لا تفسد إلا بفساد المفاهيم والمعتقدات؛ ذلك أن اليقين الراسخ متى تزعزع فإن الشك يسود، ولا حياة مستقيمة تقوم على الشك، وإنما تبنى العقول والأمم على اليقين، من هنا كان هذا الكتاب في عقيدة التوحيد الخالص، التي لا تعرف فرقة ولا خلافًا، ولا طائفية ولا طرقًا، وإنما هي الجادَّة التي قال عنها المعصوم - ﷺ -: «عليكم بالجادة وإياكم والبُنَيّات»، فمن تمسك بجادة الطريق نجا ووصل، ومن سلك بُنَيّات متفرعة متشابكة هَلَكَ ولمَّا يصل إلى غايته بعدُ.

ومحاولة طرح العقيدة في لفظ واضح ومحدد - كما حرص عليه المؤلف - هي خطوة في سبيل التصحيح والأخذ بيد من ضل وغوى، ورده إلى الفطرة السليمة التي خلقها الله في قلوب عباده ونفوسهم.



الدكتور علي جمعة، مفتي الديار المصرية السابق، وعضو هيئة كبار العلماء وأستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، وعضو مجمع الفقه التابع لمنظمة مؤتمر العالم الإسلامي بجدة. له مؤلفات بالعربية والإنجليزية تجاوزت سبعين مؤلفًا في أصول الفقه، والتصوف، والفكر الإسلامي، وشارك في إعداد كثير من الموسوعات العلمية، كما شارك بأبحاثه في نحو مائة وخمسين مؤتمرًا علميًّا، في أكثر من ثلاثين دولة. أشرف على أكثر من مائة رسالة ماجستير ودكتوراه في الجامعات المصرية والإسلامية. نال فضيلته العديد من الأوسمة من مختلف دول العالم، منها: وسام الجمهورية للعلوم والفنون، ودرع الجيش المصري، ووسام الشرف من المملكة الأردنية، ونجمة القدس من دولة فلسطين.

مكتبة الدار العربية للكتاب

9 789772 937356

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي